جامعة سوهاج

كلية التربية

المجلة التربوية

قضايا التربية في كتابات مالك بن نبي "دراسة تحليلية"

إعداد

د/ هبه إبراهيم بنوان

مدرس أصول التربية

كلية التربية – جامعة كفرالشيخ

د/ إبراهيم محمد علي إبراهيم

مدرس أصول التربية

كلية التربية بالدقهلية–جامعة الأزهر

تاريخ استلام البحث : ١٣ مايو ٢٠٢٥م – تاريخ قبول النشر: ٢٨ مايو ٢٠٢٥م

المستخلص:

استهدفت الدراسة تحليل بعض قضايا التربية التي ركز عليها "مالك بن نبي" في كتاباته كمدخل أساسي لبناء الإنسان وإخراج الأمة الإسلامية من حالة الجمود إلى الفاعلية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي مفعلة أسلوب تحليل المضمون في بعده الكيفي لاستقصاء آراء مالك بن نبي التربوية، وتوصلت الدراسة إلى أهمية التربية في بناء إنسان مستنير يجمع بين القيم الروحية والكفاءة العلمية، كما توصلت الدراسة إلى أن أزمة التربية في العالم الإسلامي في جوهرها –كما يرى مالك بن نبي– أنها ترتبط بأزمة التبعية الفكرية والانفصال بين التعليم والقيم، إضافة إلى نقد مالك بن نبي لنظام التلقين التقليدي ودعوته إلى تربية نقدية قائمة على الأفكار التي تحفز الإرادة وتُنمّي الابتكار، وأكدت الدراسة أهمية ربط التربية بتحديات العولمة، وأن للتربية دورًا مهمًا في بناء الإنسان بناءً متكاملاً حيث تسهم في تشكيل وعيه وبناء عقله، وتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه وتوجيه سلوكياته، وأن يكون قادرًا على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في مسيرة النهضة.

الكلمات المفتاحية: التربية، قضايا التربية، كتابات مالك بن نبي.

Educational Issues in the Writings of Malik Ben Nabi "An Analytical Study"

Abstract:

The study aimed to analyze some of the Educational Issues that Malik Ben Nabi focused on in his writings as a basic approach to building the human being and bringing the Islamic Nation out of a state of stagnation to effectiveness. The study used the descriptive approach, activating the content analysis method in its qualitative dimension to investigate Malik Ben Nabi's Educational Views, The study concluded that Education is important in building an Enlightened human being who combines spiritual values and scientific competence. The study also concluded that the Educational Crisis in the Islamic world is essentially - as Malik Ben Nabi sees it - linked to the crisis of intellectual dependency and the separation between Education and values, In addition to Malik Ben Nabi's critique of the traditional indoctrination system and his call for a Critical Education based on ideas that stimulate willpower and foster innovation, the study emphasized the importance of linking Education to the challenges of globalization. It also emphasized that Education plays a significant role in the comprehensive development of the human being, contributing to shaping his awareness, building his mind, refining his morals, purifying his soul, and guiding his behavior, enabling him to combine authenticity and modernity in the process of renaissance.

Keywords: Education, Educational Issues, Writings of Malik Ben Nabi

مقدمة:

شهدت عديد من المجتمعات المعاصرة – ولا سيما في العالم العربي والإسلامي– بعض المظاهر التي تنذر بانهيار تربوي يهدد البنى الفكرية والاجتماعية، ويعمّق أزمات الهُوية والانتماء. فالتربية التي يفترض أن تكون أداةً لبناء الإنسان وصناعة الحضارة، وتحوّلت في كثير من الأنظمة التعليمية إلى آلةٍ لتلقين معلومات جافة، تفتقر إلى الروح النقدية، وتغيب عنها الرؤية الحضارية. هذا الانهيار لا يعبّر فقط عن أزمة في المناهج أو الطرائق التعليمية، بل هو انعكاس لأزمة المجتمعات البنائية في بعدها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وفي القلب من تلك الأزمة تقع التربية باعتبارها نظام تابع لما تمليه الطبقة المهيمنة لتحقيق مشروعها الاقتصادي والسياسي.

وتُعد التربية حجر الأساس في بناء الفرد والمجتمع وأثرها البالغ على تنمية جميع جوانب حياة الفرد النفسية والجسدية والروحية ...وغيرها، فهي ليست مجرد نقل للمعارف والمهارات، بل هي عملية شاملة لتنمية الشخصية وغرس القيم والأخلاق، مما يُسهم في إعداد أجيال قادرة على مواجهة التحديات وقيادة التغيير الإيجابي. وفي سياق العالم الإسلامي، تبرز التربية كأداة حيوية لتحقيق النهضة واستعادة الدور الحضاري، خاصة في ظل التحولات العالمية المتسارعة والهيمنة الفكرية (المقهوي، ٢٠٢١، ٧٢٥).

والمتأمل لوضع الأمة العربية الإسلامية سيدرك بعمق أن أحد أهم أسباب حالة التأزم التي تعيشها الأمة هو الهيمنة الحضارية الغربية التي لم تتوقف عند حد التنبيه، بل تجاوزت ذلك إلى حد الهيمنة والسيطرة، فقد شكل بداية ظهورها هزة في الثقافة العربية الإسلامية مما خلق توترًا على الكثير من الأصعدة، ومع تعدد المعتقدات الدينية والأخلاقية والمعرفية، ليس في العالم بأسره فحسب، بل حتى في المجتمع الواحد، أو في الدولة الواحدة، ومع المحاولة الدائمة لكل أتباع معتقد أو مذهب أو فكر من أن تكون الهيمنة في الدولة التي يعيشون فيها مع غيرهم لمعتقدهم أو مذهبهم. برز عدة فلاسفة منهم "مالك بن نبي" فقد اعتبر أن الأفكار هي أساس قيام الحضارة وهي ما تميز إنسانًا على إنسان ومجتمع عن مجتمع (وليد، ٢٠١٨، ١).

ويعد مالك بن نبي من أبرز مفكري ومصلحي الأمة الإسلامية في العصر الحديث، وذلك بالنظر إلى مشروعه الحضاري الذي سعى من خلاله إلى النهوض بالأمة في مختلف المستويات الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية ... وغيرها.

ولعل من أبرز الجوانب التي بنى عليها "مالك بن نبي" مشروعه النهضوي هو التربية. الذي رأى فيها مدخلاً رئيسيًا لإصلاح الفرد والمجتمع، وشرطًا أساسيًا لأي مشروع نهضوي. فمن خلال التربية تتشكل العقول، ويُصنع المستقبل. حيث يقوم مشروع بناء إنسان الحضارة عند مالك بن نبي على التربية الصحيحة والهادفة إلى تغيير الإنسان ودفعه نحو تحقيق التقدم العلمي والحضاري. ولا شك في أن إسناد النهضة والتقدم إلى التربية يثير في الذهن الكثير من الفضول نحو معرفة مدى قيمة التربية ومفعولها الخارق في التأثير في حياة الإنسان (شيلي، ٢٠٢٤، ١٢٣).

وانطلاقًا من أزمة التربية العربية المعاصرة، التي تتسم بضعف الهوية وتفكك المنظومة القيمية، يبرز تراث العلماء السابقين كمنهلٍ أصيل لإعادة بناء الإنسان المسلم الحضاري. فالعلماء القدامى قدموا نموذجاً متكاملاً يجمع بين الإيمان باليقين والعقل النقدي، وبين الأصالة الإسلامية والانفتاح على الحضارات، وهو ما تحتاجه التربية العربية اليوم لمعالجة أزمتها. وهكذا يصبح الاستلهام من الماضي أداة فعلية لتجاوز أزمة الحاضر، وبناء إنسان مسلم يحمل مشروعاً حضارياً يجمع بين ثوابت الدين ومتطلبات العصر. فنحن بحاجة إلى التنقيب عن مثل هؤلاء العلماء وإمكان الاستفادة من أفكارهم التربوية في حياتنا المعاصرة.

مشكلة الدراسة:

لقد أصبحت مخرجات العملية التربوية في كثير من الحالات أفرادًا يعانون الازدواجية الفكرية، والتبعية الثقافية، وضعف القدرة على الإبداع. وفي ظلّ العولمة الثقافية والتقنية المتسارعة، تتفاقم أخطار هذا الانهيار التربوي، مما يستدعي وقفة جادة لإعادة النظر في الأسس الفلسفية والمنهجية للتربية، واستلهام الرؤى الإصلاحية التي قدمها مفكرون مثل مالك بن نبي، الذي حذّر مبكّرًا من أخطار التربية المُستوردة المنفصلة عن السياق الحضاري للأمة. فإصلاح التربية ليس ترفًا فكريًا، بل هو شرطٌ أساسي لأي نهضة حقيقية.

وإذا كانت التربية أحد أهم ركائز بناء الحضارة وتجديد المجتمع، فقد أدرك المفكر الجزائري مالك بن نبي هذا الدور المحوري، فجعل قضية التربية جزءًا أساسيًا من مشروعه الفكري التربوي الذي اهتم بإصلاح الأمة الإسلامية وتجاوز أزمتها الحضارية. وفي ظل التحولات التعليمية المعاصرة وتحديات العولمة، تبرز أهمية تحليل رؤية مالك بن نبي للتربية، التي تربط بين إصلاح الفرد والمجتمع ونهضة الأمة.

ولعل انهيار المنظومة التربوية هو أحد الأعراض الجوهرية لأزمة "القابلية للاستعمار" التي تحدث عنها في مؤلفاته حول عناصر ومكونات النظام التعليمي من معلم ومنهج وإدارة وتمويل دون الالتفات لخطورة ما تمثله العولمة الثقافية وما تعانيه المجتمعات من القابلية للاستعمار الثقافي، ويطرح مالك بن نبي رؤية تربوية متكاملة تنطلق من ضرورة التخلص من القابلية للاستعمار وتربط بين غرس القيم الروحية وبناء العقل العلمي المنظم، مع التركيز على ضرورة تحرير الفكر الإسلامي من الجمود والتقليد. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى استعادة أفكاره التربوية ودراستها في ضوء التحديات المعاصرة.

ولقد تناولت دراسات وبحوث عديده المشاريع الفكرية لكثير من المفكرين وما تتضمنه هذه المشاريع من رؤى تربوية لكن مالك بن نبي أحد المفكرين الذين لم ينالوا حظهم من الدراسة والتحليل رغم ثراء مشروعه الفكري بمضامين تناولت قضاياه التربوية في جوهرها ويمكن من خلال الوقوف على ملامح وأبعاد تلك القضايا بناء الإنسان العربي القادر على صناعة الحضارة.

وفي هذا الشأن رصدت دراسة "شيلي(٢٠٢٤)" أن القراءة العامة لكتابات مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣م) وما تحمله من أفكار نهضوية هدفت إلى تغيير الإنسان والأخذ بيده إلى ما من شأنه أن يتقدم به في سلم الحضارة بما يملكه من عقل ويد وقلب، لتمثل إلهاماً لدى الباحث في فلسفة التربية عن مختلف المرتكزات الفلسفية في فكر مالك التربوي. مستهدفا الأهداف والغايات التي حددها مالك لفلسفته التربوية. حيث توصلت الدراسة واجتمعت حول التغيير والنهضة كهدف، وبناء إنسان الحضارة كغاية. ليكون بذلك الإنسان محورًا أساسيًا لكل هدف أو غاية تربوية مقصودة. كما أشارت دراسة "جموعي(٢٠٢٣)" إلى أن الثروة الفكرية هي أثمن ثروة تمتلكها الدول، فالفكر التربوي هو أحد جوانب الفكر الذي سلط عليه الضوء وأن النهضة لا تكون إلا بالتربية التي يهدف من خلالها مالك بن نبي إلى التغيير الذاتي والاجتماعي. وتوصلت دراسته إلى أن المشروع التربوي البنائي، مشروع متأصل من الحياة اليومية والظروف المعيشية للمفكر بن نبي مما جعله ذلك يقوم على أسس دينية وثقافية متفاعلة ومتكاملة في جو اجتماعي موحد وهو المجتمع الإسلامي. ففلسفة التربية التي يطرحها مالك بن نبي تقوم على التكامل بين الفرد والمجتمع والتأثير المتبادل بينهما، لأن المهمة الحضارية ليست في يد الفرد فقط، وإنما في اندماجه الفعال مع المجتمع ومكوناته لبناء مشروع مجتمع متكامل يسير نحو حضارة متجددة باستمرار متواكبة مع تطورات العصر. كما تناولت دراسة "يوسف(٢٠٢٢)" التصور التربوي النهضوي الحضاري من خلال الوقوف

على جملة الأسس التي يقوم عليها مشروعه التربوي، والمجالات التي يتفرع منها. وفي سبيل توضيح هذه الأمور في فكر مالك بن نبي فقد اتبع المنهج التحليلي الذي يسمح بتحليل فكر مالك بن نبي للوصول إلى هذه المعايير والأسس، كما أن الهدف المرسوم لهذه الدراسة يتعلق بإبراز إحدى المحاولات النهضوية الرائدة لوضع مشروع تربوي إسلامي في الجزائر والعالم العربي والإسلامي. وتمثلت النتائج خاصة في تأكيد مالك بن نبي على الأهمية التربوية ودورها العظيم في إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية. كما أكدت دراسة" صالح (٢٠٢٢)" إن مالك بن نبي يمتلك مشروعا تربويا مجتمعيا وإنسانيا متكاملا، له منابعه الفلسفية، وأهدافه، ومناهجه ووسائله العلمية في بناء الفرد وإصلاح المجتمع العربي، فالفكر التربوي لدى مالك بن نبي فكر أصيل صادر عن مفكر واع بمتطلبات التغيير يجمع بين مقتضيات الأصالة ومُتطلبات المعاصرة، ويجعل ما هو عالمي في خدمة كل ماهو عربي وإسلامي دون انغلاق على الذات، وقد سبق عصره وأقرانه في ذلك، وتوصلت الدراسة إلي أن تحليل الفكر التربوي الإنساني والوقوف على تجربة مالك بن نبي الرائدة ومنهجه في المجال الإنساني والاجتماعي في الجزائر خصوصا والوطن العربي عموما. كما عالجت دراسة"هجالة. دهاش (٢٠٢٢)" أهمية التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي، باعتبارهما بعدين أساسين في عملية تنشئة الإنسان الذي يعد محور أساسي لبناء الحضارة. وهدف البحث هو الوقوف على حقيقة النشاط والممارسة الفعلية. "لمالك بن نبي"، والتعرف على أهم منطلقاته وأفكاره وغاياته، وذلك بعرض رؤيته في مسألة التربية والتعليم، ومجهوداته، وإنتاجاته الفكرية بفرنسا، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي. وتم التوصل على أن التفكير العلمي الصحيح، والسلوك الأخلاقي الملتزم بقيم المجتمع ومعتقداته هو الذي يبني الحضارة، ويخلق شخصية إنسانية تساهم في بناء دولة متقدمة متحضرة. كما أوضحت دراسة "العقبي(٢٠٠٥)" مشكلة المفاهيم أو الأيديولوجيا عند مالك بن نبي باعتبارها ميدانا للصراع الفكري، ومحرك الإقلاع الحضاري لكل أمة. وتوصلت الدراسة إلى أن مشكلة المجتمع الجزائري المعاصر مشكلة أفكار وفراغ مفاهيمي أو غياب للمفاهيم على مستوى النشاط المشترك للجماعة الوطنية. وأن المفاهيم على الرغم من أن محورها العالمي شهد تحولا في عصر العولمة الاقتصادية والسياسية، فإنها تبقى تصورا مسبقا ضرورياً لتوجيه الأفراد نحو بناء نسيج العلاقات الاجتماعية المشتركة التي تؤسس لمشروع حضاري متكامل قادر على تحقيق متطلبات العصر ومواجهة تحدياته.

ومن هنا تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما أبرز قضايا التربية التي طرحها " مالك بن نبي" في كتاباته وإمكان الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة؟

ويتفرع من هذا السؤال إلى الأسئلة الفرعية التالية:

١ – ما ملامح السياقات المجتمعية التي شكلت فكر "مالك بن نبي" التربوي؟

٢ – ما موقف "مالك بن نبي" من تيارات الفكر في عصره؟

٣ – ما أبرز قضايا التربية في كتابات "مالك بن نبي"؟

٤ – ما التصور المقترح لبناء الإنسان في ضوء أفكار "مالك بن نبي" التربوية؟

أهداف الدراسة:

استهدفت الدراسة تقديم تصور مقترح لبناء الإنسان العربي المسلم القادر على صنع الحضارة كما يرى "مالك بن نبي"، وذلك بالوقوف على أبرز ملامح مشروع مالك بن نبي التربوي، وكذلك التعرف على موقفه من تيارات الفكر في عصره ممثلة في تيار التغريب برافديه الليبرالي والماركسي والتيار الإسلامي بفصائله، وكذلك بالوقوف على قضايا التربية كما طرحها مالك بن نبي من حيث مفهوم التربية وبناء الإنسان المتكامل ورؤيته لنظرية المعرفة وتناول بعض قضايا التربية في بعدها الديني والاجتماعي السياسي والاقتصادي والفكري.

أهمية الدراسة:

تنقسم أهمية الدراسة إلى ما يلي:

١ – الأهمية النظرية:

تتمثل في دراسة أبرز قضايا التربية في فكر مالك بن نبي في إثراء الفكر التربوي الإسلامي من خلال تقديم نموذج تحليلي نقدي يجمع بين البعد الحضاري والاجتماعي، حيث تقدم الدراسة رؤية متكاملة تربط بين التربية وبناء الحضارة. وتسهم أيضا في سد النقص المعرفي في الأدبيات التربوية العربية التي أغفلت الجانب التربوي في فكر مالك بن نبي، كما تقدم إطاراً نظرياً مميزاً لفهم قضايا التربية في العالم الإسلامي من خلال مفاهيمه المحورية مثل "القابلية للاستعمار" و"عالم الأفكار". "عالم الأشياء"... وغيرها. وتكمن أهمية الدراسة أيضًا في كونها تفتح آفاقاً جديدة للحوار بين النظريات التربوية الإسلامية والغربية، وتقدم مدخلاً منهجياً لفهم العلاقة الجدلية بين التربية والمجتمع في إطار المشروع الحضاري الإسلامي.

٢- الأهمية التطبيقية:

يمكن أن يفيد هذا الدراسة فيما يلي:

- تقديم حلول عملية لأزمة التعليم في العالم الإسلامي من خلال: اقتراح نماذج لتفعيل رؤية "مالك بن نبي" في إصلاح المنظومة التربوية. معالجة مشكلات التلقين والتبعية الثقافية في المؤسسات التعليمية.
- تصميم برامج تربوية مستمدة من مشروع مالك بن نبي التربوي وما يتضمنه من برامج لتعزيز الوعي الحضاري لدى الطلاب ومشاريع دمج القيم الروحية مع المعرفة العلمية وعمل مبادرات تنمية الفكر النقدي والإبداعي.
- تقديم إطار عملي لصناع القرار التربوي لوضع السياسات التعليمية المستنيرة، وتصميم المشاريع التربوية التنموية.
- تقديم معالم الإنسان القادر على صنع الحضارة للمسؤولين عن الإعلام لإنتاج إعلام موجه بالمعنى الحضاري ليتمكن الإنسان المسلم من مواجهة الصورة النمطية السلبية التي تطرحها الحضارة الغربية عن الإسلام.
- تقديم رؤية مستنيرة لبناء الإنسان للمسؤولين عن الخطاب الديني يمكن من خلالها تعزيز بناء الإنسان القادر على مواجهه الاستعمار الثقافي.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي مفعلة أسلوب تحليل المضمون في بعده الكيفي باعتباره تجريدًا كيفيًا لمحتوى خطاب "مالك بن نبي" للوقوف على ما تضمنه ذلك الخطاب من قضايا تربوية بما تضمنه عملية التحليل من الفهم العميق بمعاني ودلالات النصوص دون عزلها عن سياقها.

مصطلحات الدراسة الإجرائية:

❖ التربية: يمكن تعريف التربية إجرائيًا بأنها: عمليةٌ شاملة ومستمرة تهدف إلى تنمية الفرد تنميةً متكاملةً (روحيًا، وعقليًا، وجسديًا، ووجدانيًا، واجتماعيًا)، وتهدف إلى إحداث تغيرات مرغوبة في معارف الفرد ومهاراته واتجاهاته وسلوكه، وفق أهداف محددة مسبقًا، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي.

❖ قضايا التربية: يمكن تعريف قضايا التربية إجرائيًا بأنها: جملة الموضوعات والمشكلات والتحديات التي تثار حول العملية التربوية بمختلف أبعادها، وتساعد على ربط التربية بواقع المجتمع واحتياجاته المتغيرة لضمان بناء إنسان قادر على مواجهة تحديات العصر.

الإطار النظري للدراسة:

تتكون الدراسة من المحاور الآتية:

المحور الأول: ملامح السياقات المجتمعية التى شكلت فكر"مالك بن نبي" التربوي.

المحور الثاني: موقف "مالك بن نبي" من تيارات الفكر في عصره.

المحور الثالث: بعض قضايا التربية في كتابات "مالك بن نبي".

المحور الرابع: تصور مقترح لبناء الإنسان في ضوء أفكار "مالك بن نبي" التربوية.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المحور الأول: ملامح السياقات المجتمعية التي شكلت فكر "مالك بن نبي" التربوي:

أولاً: "مالك بن نبي" (الميلاد – النشأة – الإنتاج الفكري):

"مالك بن نبي" (١٩٠٥-١٩٧٣م): هو شخصية فكرية بارزة في العالم الإسلامي، يعد أحد أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين. ترك أثرًا كبيرًا في الفكر الإسلامي الحديث من خلال تحليلاته لقضايا الحضارة، التخلف، والنهضة.... وغيرها.

و"مالك بن نبي": هو مفكر ومصلح اجتماعي جزائري. اعتبره الباحثون والمفكرون امتدادًا لابن خلدون، وأحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية. لُقب بعدة ألقاب تعكس مكانته الفكرية وتأثيره في العالم الإسلامي. من أبرز ألقابه "فيلسوف الحضارة" نظرًا لتركيزه على قضايا النهضة الحضارية وتحليله العميق لأسباب تقدم وتخلف الأمم. كما عُرف بـ"مفكر النهضة" بسبب دعوته إلى إعادة بناء الإنسان المسلم وتحريره من التبعية الفكرية والثقافية كشرط أساسي لتحقيق النهضة. فضلاً عن ذلك، لُقب بـ"رائد الفكر الإصلاحي" لجهوده في تقديم رؤية شاملة لتجديد الفكر الإسلامي ومواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. وتُجسد هذه الألقاب مكانة مالك بن نبي كأحد من أبرز المفكرين الذين سعوا إلى إيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها الحضاري (الغوث،٢٠١٩، ٥).

١- اسمه ومولده:

مالك بن عمر بن خضير بن مصطفى بن نبي. ولقد اشتهر باسم "مالك بن نبي". ُولد في مدينة "قسنطينة" سنة ١٩٠٥م الموافق ١٣٢٣هـ، في أسرة بسيطة مكونة من والديه

وثلاث بنات، توفيت إحداهن وهو صغير. كان والده موظفًا بسيطًا في الإدارة الحكومية بمدينة تبسة، وقد تميز بتعليمه في فترة كانت السياسة الفرنسية تفرض التجهيل على المجتمع الجزائري. أما والدته، فكانت تساهم في تحسين دخل الأسرة من خلال عملها في الحياكة. نشأ مالك بن نبي في بيئة محافظة، تحرص على التقاليد الدينية والوطنية، وكان الابن الوحيد بين أشقائه (عبود، عقيل، ٢٠٢٢، ٩).

٢ – نشأته:

نشأ "مالك بن نبي" في أسرة متدينة فقيرة ومحافظة، عانت من ضعف مستوى المعيشة، مما اضطره للانتقال للعيش مع عمه في مدينة قسنطينة بسبب فقر والديه. تلقى مراحل تعليمه الابتدائي والثانوي بين مدينتي (تِبِسّة) و(قسنطينة)، فتتلمذ في المدرسة نفسها على أساتذة وطنيين، في العربية، غرسو فيه حب الوطن والانتماء، كما درس على يد أساتذة فرنسيين عنصريين، أشعروه بالخطر الاستعماري الفرنسي لطمس الهوية الإسلامية العربية في الجزائر، وتشويه تاريخها (عبود، عقيل، ٢٠٢٢، ٩).

حفظ القرآن في الكتّاب في المرحلة الابتدائية، ثم واصل تعليمه حتى المرحلة الثانوية حيث زاد شغفه بالثقافة والمعرفة. وإلى جانب المرحلة الثانوية كان يتلقى دروسًا في اللغة العربية على يد «الشيخ عبد المجيد» الذي أثر في تكوينه الفكري وغرس فيه حاسة النقد الاجتماعي، حيث طور لديه مهارة التعبير اللغوي والتذوق الأدبي (ابن نبي، ٢٠١٨، ٣).

سافر عام (١٩٢٥م) إلى فرنسا(مرسيليا وليون وباريس) بحثًا عن فرصة عمل ولكن بلا فائدة، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تِبسَّة مساعد كاتب في المحكمة. وأتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح المجتمع أيام الاستعمار. ففي هذه الفترة بدأ وعيه يتشكل وهو متأثر بالحركة الإسلامية التي يقودها الإمام عبد الحميد باديس قائد الحركة الإصلاحية في الجزائر بهدف تحرر عقولهم، وتغيير أنفسهم، وتحريرهم من الفكر الراكد الذي يستهدف محو الهوية العربية الإسلامية، حيث لاحظت إدارة المؤسسة التي كان يتابع تعليمه بها تميزه بالفكر المستقل، صعوبة تجنيده، فقررت وضع قراءاته وكتبه تحت المراقبة (عبود، عقيل،٢٠٢٢، ٩).

وفي سنة ١٩٢٧م التحق للعمل في محكمة مدينة آفلو حيث عرف سكان المنطقة لأول مرة مجلة الشهاب للإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس التي تحملت مسؤولية الدفاع عما بقي من تلك الفضائل والقيم وإحياء ما مات منها وإصلاح ما أفسد الاستعمار، ولم تطل إقامته في أفلو فانتقل إلى مدينة شلغوم غير البعيدة عن قسنطينة وكان وجوده في هذه المدينة فرصة لمقارنة الإنسان الجزائري هناك الذي فقد قيمه وفضائله بسبب الاستعمار حيث

كانت المدينة مركزاً كبيرا للمستعمرين، ولم يلبث بشلغوم إلا قليلاً، إذ سرعان ما قدم استقالته نهائياً من الوظيفة وقرر السفر إلى باريس عام١٩٣٠م لمواصلة دراسته (بن نبي،٢٠١٨، ٤).

وفي سنة ١٩٣١م تزوج مالك من امرأة فرنسية أسلمت على يديه، وساهمت زوجته في تنمية ذوقه وحسه الجمالي. واستطاع أن يوسع شبكة علاقاته الفكرية والثقافية في باريس.

ولقد التحق بمدرسة اللاسلكي والتي تخرج منها مهندسًا كهربائيًا عام ١٩٣٥م. وأتيح لابن نبي التعرف على مشكلة أمته التي كانت صورة مكبرة عن مشكلات وطنه عندما ألقى أول محاضرة في ديسمبر ١٩٣١م بعنوان "لماذا نحن مسلمون؟" التي جاء رد فعل السلطات الفرنسية عليها سريعاً، حيث استجوبه البوليس الفرنسي بشأنها، وكذلك مثل الجزائر في "جمعية الوحدة العربية" التي تأسست في باريس كما أشرف على نادي "المؤتمر الجزائري الإسلامي" بمرسيليا، وفي باريس عاش تجربة غنية بالتعرف على الحضارة الغربية ولم يجرفه تيار التغريب فلم يتمكن من طمس هويته العربية الإسلامية (عبود، عقيل،٢٠٢٢، ١٠).

وبعد عودته من فرنسا سنة ١٩٣٩م. تفرغ للعمل الفكري فعمل صحفيًا بصحيفة اللوموند، وأصدر أول كتبه وهو "الظاهرة القرآنية"، ثم توالت كتبه في باريس، فأصدر كتاب " شروط النهضة"، وكتاب "وجهة العالم الإسلامي" الذي عرض فيه مفهوم "القابلية للاستعمار"، وكذلك قصة "لبيك". ولم يهنأ مالك بالعيش هناك إذ سرعان ما أغلق الفرنسيون الأبواب في وجهه، مما عجل بخروجه من فرنسا سنة ١٩٥٦م متجهاً نحو القاهرة حيث أصدر كتابه "فكرة الإفريقية الآسيوية" ثم تلته كتب أخرى.

وفي مصر كانت مرحلة أخرى له مع التأليف وإتقان اللغة العربية وعقد الحلقات العلمية المفتوحة للطلبة جميعهم في منزله بالقاهرة، حيث ناقش مؤلفاته وشرح أفكاره حيث تأثر به عدد كبير من الطلبة العرب والمسلمين الذين كانوا يتلقون تعليمهم في القاهرة، وتعد فترة وجود مالك بن نبي في مصر من أغنى مراحل عطائه الفكري الذي ألف فيها عديدًا من الكتب بالإضافة إلى ترجمة البعض الآخر من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية (عاشور، ٢٠٢٣، ٣٤).

وفي عام ١٩٦٧م استقال من منصبه، وتفرغ لنشاطه الفكري ولتحصين الشباب المثقف بالفكر السليم والمنهج القويم. وتوفي في الجزائر في أكتوبر عام ١٩٧٣م وهو في الثامنة والستين من عمره تاركاً سجلاً وافرًا من الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي أثرت الثقافة العربية والإسلامية والعالمية (عبود، عقيل،٢٠٢٢، ١١).

٣- إسهامات مالك بن نبي الفكرية:

تتمثل إسهامات مالك بن نبي الفكرية في مؤلفاته ومحاضراته وندواته التي ألقاها خلال مسيرته الفكرية وكذلك كيف نضجت عقليته التربوية، ويستعرضها الباحثان فيما يلي:

أ- المؤلفات:

ألف "مالك بن نبي" معظم كتبه باللغة الفرنسية، بينما كتب بعضها بالعربية، ثم تُرجمت أعماله من الفرنسية إلى العربية. ويتجاوز عدد كتبه المطبوعة العشرين، وقد نُشر عديد منها في القاهرة ودمشق والجزائر. ولديه مؤلفات لا تزال مخطوطة ولم تُطبع بعد، وتناولت الدراسة بعض أهم مؤلفاته المنشورة وفقًا للموضوعات التالية: (الظاهرة القرآنية- شروط النهضة- ميلاد مجتمع، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي- مشكلة الثقافة-إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث- آفاق جزائرية- المسلم في عالم الاقتصاد- بين الرشاد والتيه - وجهة العالم الإسلامي- فكرة كمنويلث إسلامي- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين- في مهب المعركة- تأملات-من أجل التغيير-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة-مجالس دمشق- الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج- القضايا الكبرى- مذكرات شاهد القرن).

وله قصة أدبية بعنوان "لبيك". وتوجد كتب غير منشورة لمالك بن نبي، وهي ما زالت مخطوطات بخط يده منها: (خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور- دولة مجتمع إسلامي- الأستاذ - نموذج لمنهج ثوري- المشكلة اليهودية – العفن- اليهودية أم النصرانية- دراسة حول النصرانية - مجالس تفكير).

وتناولت الدراسة تحليل عينة من مؤلفات مالك بن نبي تمثلت في (١٤) مؤلفًا مطبوعًا تتمثل في (شروط النهضة- ميلاد مجتمع-تأملات- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي- مشكلة الثقافة-القضايا الكبرى- المسلم في عالم الاقتصاد- بين الرشاد والتيه - وجهة العالم الإسلامي- فكرة كمنويلث إسلامي- لبيك-في مهب المعركة- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة- مجالس دمشق) واكتفى الباحثان بهذا العدد من المؤلفات نظرًا لعدم توفر باقي المؤلفات وصعوبة الحصول عليها.

ب- المحاضرات والندوات:

مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣) كان مفكرًا إسلاميًا بارزًا شارك في العديد من المحاضرات والندوات طوال حياته، وناقش قضايا النهضة الحضارية، والقابلية للاستعمار، ودور الإسلام في بناء المجتمعات. بالرغم من أن تفاصيل جميع محاضراته وندواته غير موثقة

بالكامل، إلا أن هناك بعض الأحداث البارزة التي شارك فيها وألقى فيها محاضرات مهمة، ولعل من أهم محاضراته وندواته ما يلي: (محاضرات في جامعة الجزائر– ندوات في العالم الإسلامي– محاضرات في فرنسا– ندوات في القاهرة– محاضرات في المؤسسات الإسلامية الدولية– محاضرات حول "شروط النهضة"– ندوات حول "مشكلة الأفكار"– محاضرات حول "الظاهرة القرآنية"– ندوات حول الشباب والإصلاح) (مسقاوي، ٢٠١٣، ٤٣).

ولم تتناول الدراسة تحليل محاضرات وندوات مالك بن نبي نظرًا لصعوبة الوصول لها وهذا لا يمنع أن محاضرات وندوات مالك بن نبي جزءًا أساسيًا من جهوده لنشر أفكاره الإصلاحية التربوية. وقد استقطبت هذه الفعاليات جمهورًا واسعًا من المثقفين والشباب في العالم العربي، كما ساهمت في تشكيل وعي جيل جديد من المفكرين والناشطين في العالم الإسلامي. ولا تزال أفكاره تدرس وتناقش حتى اليوم، مما يدل على استمرارية تأثيرها على بناء الإنسان العربي المسلم.

ج– التأسيس الفكري لمالك بن نبي:

ترك مالك بن نبي أثرًا عميقًا في الفكر الإسلامي الحديث من خلال تحليلاته للواقع الحضاري للأمة الإسلامية وطرحه لفكرة "القابلية للاستعمار" كعامل رئيسي في تدهور المجتمعات الإسلامية، واستخلص الباحثان تأسيسه الفكري من عينة المؤلفات التى استند إليها الباحثان في الدراسة وتتمثل في عدة محاور رئيسة هي:

- **نقد الحضارة والاستعمار**

– ركز مالك بن نبي على تحليل أسباب تدهور الحضارة الإسلامية وتأثير الاستعمار الغربي على المجتمعات الإسلامية.

– طرح فكرة أن الاستعمار ليس فقط قوة خارجية، بل هو أيضًا حالة داخلية تتجلى في "القابلية للاستعمار"، أي استعداد المجتمعات للخضوع للهيمنة الخارجية بسبب ضعفها الداخلي (ابن نبي،٢٠٢٢، ٤٥–٥٠).

- **مفهوم القابلية للاستعمار:**

– يعد هذا المفهوم من أهم إسهامات مالك بن نبي الفكرية ويرى أن المجتمعات الإسلامية أصبحت قابلة للاستعمار بسبب تراجعها الحضاري وفقدانها للفاعلية الثقافية والسياسية.

– يشير إلى أن التحرر من الاستعمار يتطلب أولاً تحرر داخلي من العقلية التي تجعل المجتمع عرضة للهيمنة والسيطرة عليه ومن ثم قابليته للاستعمار (ابن نبي، ٢٠١٨، ٦٠–٦٥).

- **الدور الحضاري للإسلام:**

أكد مالك بن نبي ضرورة إعادة بناء الحضارة الإسلامية على أسس إسلامية أصيلة، مع الاستفادة من التجارب الحضارية الأخرى. كما رأى أن الإسلام ليس مجرد دين روحي، بل هو نظام حضاري شامل قادر على إعادة بناء المجتمعات وتوجيهها نحو التقدم (ابن نبي،٢٠١٦، ٣٠-٣٥).

- **الفكرة والتقنية:**

- **ميز مالك بن نبي بين الفكرة والتقنية، حيث رأى أن الحضارة تحتاج إلى أفكار قوية تحركها، بينما التقنيات هي أدوات لتحقيق هذه الأفكار.**
- **انتقد المجتمعات الإسلامية لتقليدها التقنيات الغربية دون فهم الأفكار الخلفية وراءها، مما أدى إلى فشل في تقدم هذه المجتمعات (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٧٥-٨٠).**

- **الدور الاجتماعي والسياسي:**

- **دعا إلى إصلاح النظام الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، وركز على بناء مجتمع قائم على العدل والمساواة.**
- **رأى أن التغيير يجب أن يبدأ من الفرد، ثم ينتقل إلى المجتمع ككل(ابن نبي،٢٠١٦، ٤٠-٤٥).**

- **التربية والتعليم:**

- **أكد أهمية التربية والتعليم في بناء الشخصية الإسلامية الفاعلة، مع التركيز على تنمية الوعي الحضاري والهوية الإسلامية.**
- **دعا إلى إصلاح المناهج التعليمية لتكون قادرة على إنتاج جيل واعٍ ومبدع (ابن نبي،٢٠٠٧، ٥٥-٦٠).**

- **الوحدة الإسلامية:**

- **دعا إلى تعزيز الوحدة بين الشعوب الإسلامية، معتبرًا أن التفرقة هي أحد أسباب ضعف الأمة.**
- **رأى أن التعاون بين الدول الإسلامية هو الطريق لتحقيق الاستقلال الحقيقي والتقدم (ابن نبي، ٢٠١٦، ٢٥-٣٠).**

- **نقد الحداثة الغربية:**

- **بالرغم من إعجابه بالتقدم التقني الغربي، انتقد ابن نبي الحداثة الغربية لتركيزها المفرط على المادة وإهمالها للقيم الروحية والأخلاقية.**

- دعا إلى بناء نموذج حضاري إسلامي يوازن بين المادة والروح (ابن نبي، ٢٠١٦، ٧٠-٧٥).

وتؤكد الدراسة أن مالك بن نبي ترك إرثًا فكريًا غنيًا لا يزال يؤثر في المفكرين والحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي حتى اليوم. فيعد مالك بن نبي أحد أبرز المفكرين الذين حاولوا تشخيص أزمات العالم الإسلامي وطرح حلولاً لها من خلال تحليلات عميقة تركز على الجوانب الحضارية والفكرية. في كتبه مثل "شروط النهضة" و"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، وقدم رؤية نقدية لـ"القابلية للاستعمار" التي رأى أنها نتاج تراكم عوامل التخلف الثقافي والاجتماعي، داعياً إلى إعادة بناء الفكر الإسلامي وإنتاج الأفكار الفعالة التي تساهم في النهضة وفهم تحديات الحاضر واستشراف مستقبل أفضل.

ثانيًا: ملامح عصر مالك بن نبي وأثره في تكوينه:

تقتضي الدراسة الإلمام بظروف العصر الذي عاش فيه مالك بن نبي متناولاً جميع المؤثرات العامة والخاصة، سياسية كانت أو دينية أو ثقافية التي أثرت فيه وانطبعت في وجدانه لأن العالم يتأثر في حياته وطريقة تفكيره بظروف مجتمعه وأحداث عصره، والحقيقة أن هذه الفترة الزمنية من تاريخ الجمهورية الجزائرية كانت مليئة بالأحداث الجسام وهذا ما يبدو من خلال التالي:

١- الحياة السياسية:

الحياة السياسية لها دور فعال في توجيه أنماط الحياة، فهي تؤثر سلبا وإيجابا قوة وضعفا فيها، فلقد وُلد مالك بن نبي في عصر مليْ بقصص الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعاش مأساة بلد يخطط الاستعمار لشل فاعليته، وبالتالي تحويله إلى فريسة سهلة الالتهام، عاشها مالك في المدرسة الفرنسية حيث لا يسمح (لابن البلد) استكمال الدراسة الثانوية التي تؤهله للدراسات الجامعية، وعاش في تحول المجتمع عن فطرته وكيف ساد الصعاليك بمعونة الإدارة الفرنسية، وكيف أصبحت العائلات العريقة فقيرة بسبب الاستيلاء على أراضيها، وكان اليهود هم الواسطة لانتقال الملكية من أبناء البلاد إلى أبناء المستعمر؛ فاليهودي دائماً كان يقرض بفائدة ٦٠٪، وعندما درس في فرنسا وعاش مع الجالية الجزائرية رأى الاستعمار من زواياه المختلفة، وشعر بخبث الأساليب التي يقوم بها لتفتيت العالم الإسلامي (ابن نبي، ٢٠١٦، ٣٣).

ورغم التحول الهائل الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الأولى فإن الإدارة الفرنسية ظلت محافظة على نفس نسق سياستها الاستعمارية دون محاولة منها إحداث إصلاحات أو إدخال تغيرات على الواقع الجزائري بشكل جدي يساير التحول العالمي خدمة قبل كل شيء لاستمرار مصالحها بالجزائر.

ورغم تواضع إصلاحات ١٩١٩م لم يتهاون الفرنسيين في خرقها وتعرضت الحركة الوطنية إلى التنكيل والتضييق فكانت هذه السمة الغالبة لطبيعة العلاقة بين الجزائريين والفرنسيين ففي عهد الوالي العام "ستيغ" تم تجديد وتوسيع قانون الأهالي، ووقعت الجزائر في مجاعة عام١٩٢١م، وفي مارس ١٩٢٥ إلى ديسمبر ١٩٢٧م تم في عهد موريس فيوليت الاشتراكي إحياء نظام الاحتجاز السري، وغالبا ما كانت فرنسا تربط كل نشاط سياسي في الجزائر بالتأثيرات الخارجية واليد الأجنبية واتهمت في ذلك الدعاية الشيوعية من موسكو والدعاية الألمانية من برلين والحركة الإسلامية من تركيا، واعتبرتها دعوات معادية ومهددة للأمن والاستقرار بالجزائر، ورغم الديناميكية التي عرفتها الجزائر سياسيا خلال فترة العشرينات عمومًا، وفترة الاحتفالات بالتحديد ١٩٢٧– ١٩٣٠م ظلت الجزائر تعد مستعمرة هادئة سياسيًا(قاسم ،٢٠٠٢، ١٧–١٨).

٢– الحياة الاقتصادية:

يمكن التعرف على الأوضاع الاقتصادية في أواخر عهد الدولة الجزائرية الحديثة، من خلال التعرض إلى القطاعات الاقتصادية الرئيسة الزراعة، الصناعة، التجارة فيما يلي:

لقد تراجعت عائدات الأسطول الجزائري بفعل المعاهدات التي عقدتها الجزائر مع الدول الأوربية لضمان أمن تجارتها في البحر المتوسط، مقابل بعض الأموال. ومما زاد تقييد نشاطها البحري وضعف الأسطول الجزائري فتوقفت أكثر الدول الأوروبية عن دفع الغرامات والهدايا، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية في مقدمة الدول التي كفت سنة ١٨١٢م عن تسديد ما التزمت بدفعه، وهو ٢٤ ألف دولار سنويا ثم تبعتها كثير من الدول الأوروبية (بلاح، ٢٠٠٦، ٢٨).

أ– الزراعة:

تحكمت في الزراعة طبيعة الملكية وكيفية استغلال الأرض، وأثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة. رغم تنوع المحاصيل بحيث اختصت كل منطقة بإنتاج نوع من المحاصيل حسب الظروف المناخية إلا أن الفلاحة الجزائرية في السنوات التي تلت ١٨٠٠م، كانت تعاني مشاكل وصعوبات عاقت تطورها وازدهارها الأول، وتعود هذه الصعوبات إلى استعمال الفلاحين لأدوات

بسيطة وأسمدة وأساليب ري بدائية، إضافة إلى طبيعة ملكية الأرض التي كانت أغلبها للعروش والأوقاف، وكثير من الأراضي الخصبة كانت ملكاً للأتراك، وكذلك الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الجزائري فقد كان معرضًا للحملات العسكرية، ومهددًا من قبائل المخزن المسلحة كما كان عرضة للأمراض والمجاعات التي كانت تجتاح البلاد بين الحين والآخر (سعيدوني، ٢٠١٨، ٦٠).

ب– الصناعة:

كانت المدن الجزائرية تضم عديدًا من الصناعات التي يحق لنا وصفها بالتنوع والإتقان والتنظيم، إذ كانت موزعة على عشرات النقابات المهنية، تمثل المهن أو الحرف، وتعددت الصناعات التي كانت على نوعين:

- محلية يدوية: استمرت تقاليدها من الماضي البعيد، تعتمد على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية كصناعة النسيج والأقمشة الحريرية.
- الصناعة المعدنية أو الثقيلة التي لم تشهد تطوراً ملموساً، والتي كانت لا تتعدى استخراج الملح، أو بناء بعض السفن الخشبية بالموانئ الهامة أو تحضير البارود للمدافع بمدينتي قسنطينة والجزائر(سعيدوني، ٢٠١٨، ٣٤).

ج- التجارة:

شكّلت التجارة عمودًا فقريًا لاقتصاد الجزائر عبر العصور ونافذة لاتصالها بالعالم، وحققت الجزائر في العهد العثماني (١٥١٨-١٨٣٠م) مكانةً تجاريةً وعسكريةً بارزةً بفضل أساطيلها التي سيطرت على المتوسط، وصادراتها من المنتجات الزراعية والمنسوجات. ويرى الكثير من المؤرخين أن التجارة مثلث القطاع الاقتصادي الأكثر تأثيرا على الأوضاع المالية والاقتصادية للدولة الجزائرية الحديثة، بنوعيها الداخلي والخارجي. فالتجارة الداخلية كانت تتم داخل المدن أو عن طريق الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف. حيث شهد هذا القطاع ركودا ملحوظاً، حيث تعرضت المواد التجارية لحرب السوق السوداء، مما زاد من تدهور الأسواق الداخلية وحال دون أن تتطور تطورًا منسجمًا نحو وحدات تجارية كبرى، كما أن الاضطرابات التي شهدها مطلع القرن التاسع عشر حالت دون تأسيس شبكة مواصلات مهمة تحد من انطواء المناطق الريفية على نفسها (صنصال، ٢٠٢٠، ٣٠٩).

أما التجارة الخارجية فكانت ضئيلة مع الأقطار الإفريقية والإسلامية مقارنة مع الدول الأوروبية رغم جو العداء. حيث كانت الدول الأوروبية، وبالخصوص فرنسا تستورد المواد الأولية المتوفرة بكميات تجارية كالأصواف والجلود والشمع، مقابل تصدير المواد الكمالية والترفيهية كالعطور من فرنسا والزليج من إيطاليا، والعتاد الحربي من اسكندنافيا، والسكر والقهوة من إنجلترا عن طريق جبل طارق (سعيدوني، ٢٠١٨، ٤٠).

ومن المؤثرات الواضحة في شخصية " مالك بن نبي" ما عاناه من الفقر الشديد في طفولته، وحياة النَّصَب والتعب التي عاشها في شبابه بحثاً عن العمل، سواء في الجزائر أو فرنسا، فقد عمل بعد تخرجه من الثانوية في مصنع للأسمنت في مدينة (ليون) بفرنسا، فكان يحمل الأكياس على ظهره، وبعد تخرجه من الهندسة طرق أبواب العمل في الدول العربية والإسلامية ولكن بلا جدوى (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٣١).

٣- الحياة الاجتماعية والدينية:

إن الدين عند الغرب ليس سوى ظاهرة اجتماعية أو قضية فلسفية يمكن دراستها وإخضاعها لمستجدات العصر، ولا يهتم إلى ما سينتج عن ذلك من نتائج سلبية كانهيار العقيدة ودمار القيم في المجتمع. والصراع الديني تمثل في عدة مظاهر الاضطهاد الديني في كل البلدان الإسلامية المستعمرة، ففي الجزائر مثلا أخذ استعمار الاحتلال يحول المساجد إلى كنائس وثكنات عسكرية وإلى مقاهي وبارات ذلك فضلا عن المساجد التي دمرت بأمر من السلطة الاستعمارية (عكاشة، ٢٠١٠، ٦).

حيث كانت الجزائر، تعيش حياة دينية واضحة المعالم، فلها مساجدها الكثيرة التي بلغت (٧٠٠) مسجد والتي تنتشر بها الكتاتيب لتحفيظ القرآن، حيث بلغت (٣٠٠٠) كُتاب (المدني، ٢٠١٦، ١٣٠). كما يذكر ذلك الرحالة الهولندي (دابر) في القرن السابع عشر (بن نعمان، ب س،٨٦) وعندما جاء الفرنسيون لاحتلال الجزائر فقد كان على رأس أولوياتهم، الهدف الديني النصراني، فلقد كان القساوسة والرهبان في طليعة الجيش، فالجندي يحمل السيف، والقسيس يحمل الصليب لإتمام عملية التنصير والفرنسة (سعد الله، ٢٠٠٠، ٨٩)، "وكان لا بد من أساليب معينة لإتمام ذلك، باتباع سياسة التجهيل، ثم بعد ذلك التنصير" (عبد العال، دت، ٦٠).

وتطبيقاً لهذا التوجه فقد عملت الحكومة الفرنسية على هدم الكتاتيب القرآنية وتدمير المساجد. فلقد كان في مدينة الجزائر وحدها ١١٢ مسجدًا، فلم يتبقى منها إلا خمسة وهدمت الباقي وحولوا المساجد إلى كنائس، فمثلاً جامع القصبة أصبح كنيسة الصليب المقدس، وجامع ابن تاشفين أصبح كنيسة سيدة النصر، وجامع كتشاوة أصبح كاتدرائية الجزائر، ومسجد علي بن شتى أصبح قديسة الانتصار، ومسجد القائد أعطى إلى جمعية أخوات القديس جوزيف" ووضعت سلطات الاحتلال يدها على الأوقاف الإسلامية وعلى المتبقي من المساجد، وضعفت حالة الدين الإسلامي في الجزائر كما وصفها مدير مكتب الشئون الإسلامية، وهو فرنسي حيث قال"لقد أذللنا الدين الإسلامي" وكثفوا نشاط الإرساليات الدينية والمسيحية، التي أخذت تتوافد على القطر الجزائري، تحت مختلف الأشكال والهيئات والأسماء، من هيئات تعليمية، وجمعيات خيرية، ورغم ثقافة التنصير والفرنسة ومحاولة إبعاد الجزائرين عن دينهم الحنيف إلا أن الجزائرين بقو متمسكين بدينهم وعقيدتهم الدينية (ابن نعمان، دت، ٨٠-٨٦).

الحياة الدينية بعد الاحتلال: ١٩٦٢ – ١٩٧٣ م.

لقد تحررت الجزائر من ظلم الاحتلال العسكري، وأصبحت حرة بقيادة الرئيس أحمد بن بيلا، وفي عام ١٩٦٥م حدث انقلاب هواري بومدين، وكلاً من ابن بيلا وهواري بومدين فقد كانا متأثرين بالفكر الماركسي، ويؤمنان بالقوانين الغربية، ولكن بومدين كان يعرف أن هناك ضغطاً جماهيرياً مطالباً بتطبيق الإسلام، فأخذ يبني المساجد، وكلف وزارة الشؤون الدينية بالإشراف على النشاطات الإسلامية فيها، ولكنه أوجد رقابة كاملة عليها لدرجة إعداد الخطبة التي يلقيها الإمام في صلاة الجمعة، وعمل على إبعاد الدين عن السياسة، وأدخل الدين في البرامج المدرسية إرضاءً للجماهير فقط لا غير، ووضع في الدستور مادة تنص على أن الدين الرسمي للدولة الإسلام، ولكن ذلك كان شكليًا فقط (براهيمي، ٢٠٠١، ١١٣).

ولقد مثلت المرجعية الدينية الإسلامية "لمالك بن نبي" الركيزة الاساسية في مشروعه النهضوي. ففكر ابن نبي يعتمد على خلفية دينية كونت شخصيته في بداية مراحله العمرية، وللتربية الدينية تأثير مهم في توجه ابن نبي التربوي والنهضوي الحضاري فمشروعه الحضاري لا يخلو من الحضور الديني سواء كعناوين للمؤلفات مثل: الظاهرة القرآنية، قصة لبيك، أو كنصوص دينية من قرآن وسنة (ابن نبي، ٢٠١٦، ٧٢).

كما رأى مالك بن نبي أن أول عمل في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فرداً إلى أن يصبح شخصًا وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزاعات اجتماعية تربطه بالمجتمع. فالفرد الذي يعمل في نطاق ذاتي لا يمكنه أن يصنع حضارة، لكن الشخص الذي يعمل في إطار مجموعة، كلما كانت الشبكة الاجتماعية ذات ثقة، كلما كان العمل فعالا مؤثرا في هذا المجتمع (ابن نبي، ٢٠١٨، ٣١).

وترى الدراسة أن "مالك بن نبي" ركز على أهمية الوقوف مع الذات والتأمل فيها. وتقويمها وتجديدها، فمن هنا يبدأ التغيير والتغيير الذاتي لا يتحقق إلا بالتربية الصحيحة التي تكسب الفرد الأدوات اللازمة والسبل القويمة لتحقيقه مما يساعد على بناء الإنسان.

٤- الحياة العلمية والثقافية:

شكلت الحياة العلمية والثقافية مَسارًا حيويًّا في حياة مالك بن نبي مليئًا بالعمق والاجتهاد، فقدم رؤية متكاملة تربط بين الدين والحضارة، وركز على دور الفكرة الدينية والقابلية للاستعمار كعوامل مصيرية، ولم يكتفِ بالتنظير، بل سعى لبناء مشروعٍ فكري يعيد للإنسان المسلم وعيَه الحضاري، مما جعله أحد أبرز المُفكرين الذين أَسسوا لعلم اجتماع الحضارة في العصر الحديث، وتناولت الدراسة مرحلة الاحتلال الفرنسي التى شكلت الحياة العلمية والثقافية لابن نبي فيما يلي:

انقسمت مرحلة الاحتلال الفرنسي إلى قسمين: مرحلة التجهيل، مرحلة الصحوة، كالآتي:

أ- مرحلة التجهيل: ١٨٣٠ - ١٩١٠م

تضع أي دولة من الدول ضمن برنامجها سياسة معينة، وكانت سياسة التجهيل على رأس الأولوية السياسية عند فرنسا وتطبيقها على الجزائر، بمعنى تجهيل الشعب حتى تسهل السيطرة عليه، أو العمل على برمجته ضمن سياسة تعليمية خاصة تخرجه من ثقافته الإسلامية، وتجعله يدور في فلك ثقافة فرنسا، وفي كلتا الحالتين سيتقبل الوجود الفرنسي بجهله أو بعلمه المبرمج، وهذا ما اوضحته برامج الأحزاب التي كانت ترى سياسة الدمج.

وطبقت سياسة التجهيل، فقد اتبعت سياسة تعليمية تهدف إلى هدم الثقافة الوطنية للجزائر، وترك اللغة العربية، التي اعتبرت لغة أجنبية حتى عام ١٩٤٧م، رغم أن جميع سكان البلاد يتكلمونها فقد بدأت منذ اللحظة الأولى في تحطيم مصادر الثقافة الموجودة في الجزائر، فوجهت جنودها إلى تخريب المكتبات وتمزيق الكتب أو سرقتها، فروي أحدهم أن المكتبات الفرنسية تضم مخطوطات من قسنطينة بعثها جنود الحملة، وهدايا إلى مساقط رؤوسهم (سعدالله، ٢٠٠٠، ٨٨).

ب– مرحلة الصحوة: ١٩١٠ – ١٩٦٢م.

ذهب كثير من الشباب إلى خارج الجزائر لكي يكملوا تعليمهم في بلاد أخرى فمنهم من ذهب إلى تونس حيث جامع الزيتونة وجامعة القرويين، ومنهم من ذهب إلى مصر حيث الجامع الأزهر، والجامعات الأخرى، ومنهم من ذهب إلى فرنسا، وهناك من تأثروا بالجامعات العربية، وبالصحوة الموجودة في تلك البلاد (عمامرة، ٢٠٠٦، ٥٤).

والذين ذهبوا إلى جامعات فرنسا تأثروا بالفكر الفرنسي، ورجعوا يحملونه إلى بلادهم وبدأت الصحوة فكل يريد أن يغير من واقع الجزائر، حسب ما تعرف عليه في الخارج فبدأت الأحزاب تظهر، وكل منها يعمل للتغيير، وبدأت تصدر الصحف التي تعمل على نشر أفكارهم، فظهرت صحيفة الجزائر، والمتقد، والشهاب والإصلاح، وصدى الإصلاح، ثم جرائد جمعية العلماء المسلمين في الثلاثينات وهي: السنة والشريعة والصراط، والبصائر التي استمرت في الصدور، بعد فترات انقطاع إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وصحف أخرى كثيرة (ابن نبي، ٢٠١٩، ١٠٢).

وانتبه الجزائريون إلى سياسة التجهيل فقاوموها، فأنشأوا المدارس العربية الإسلامية الحرة، وشيدت ما يزيد عن ١٧٠ مدرسة تحت إشراف ورقابة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ثم أسست معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس التكميلي، ليكون همزة وصل بين مدارس الجزائر الابتدائية الحرة، والمعاهد العليا بتونس والشرق (المدني،٢٠١٦، ١٤٤– ١٤٥).

وبدت هذه الصحوة واضحة عام ١٩١١م من خلال النوادي والجمعيات الثقافية التي ظهرت حينئذ ومنها" الجمعية التوفيقية"، وكان هدفها جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم، وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية.

وترى الدراسة أن النهضة الإسلامية المعاصرة تتطلب إعادة قراءة التراث بمنهجية نقدية، وتطوير التعليم ليكون قادراً على تخريج علماء مجددين، وربط المعرفة بالتطبيق في

مجالات التكنولوجيا والاقتصاد. كما تحتاج إلى رؤيةٍ شاملةٍ الثوابت الإسلامية ومتطلبات العصر، وبناء نموذجٍ حضاريٍ إسلاميٍ يُقدّم حلولاً لأزمات الإنسانية المعاصرة، مع الحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية التي تميزت بها الحضارة الإسلامية عبر العصور.

المحور الثاني: موقف مالك بن نبي من تيارات الفكر في عصره:

أولاً: موقفه من تيارات التغريب برافديه الليبرالي والماركسي:

كان مالك بن نبي ناقدًا لتيارات التغريب بجميع أشكالها، سواء الليبرالية أو الماركسية. فقد كان من أبرز المفكرين الذين تناولوا قضية التغريب بتحليل عميق، معتبرًا أنها إحدى أخطر التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في العصر الحديث. ورأى ابن نبي أن التغريب ليس مجرد استعمار عسكري أو سياسي، بل هو استعمار فكري وثقافي يهدف إلى تفكيك هوية الأمة الإسلامية وإخضاعها لتبعية فكرية وثقافية للغرب، واستخلص الباحثان موقف مالك بن نبي من تيارات التغريب برافديه الليبرالي والماركسي فيما يلي:

١- رؤية "مالك بن نبي" العامة للتغريب:

- القابلية للاستعمار:

استخدم مالك بن نبي مفهوم "القابلية للاستعمار" لوصف الحالة النفسية والفكرية التي تجعل الأمة الإسلامية تقبل التبعية للغرب، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الفكري. واعتبر أن هذه القابلية هي السبب الرئيسي وراء استمرار التغريب حتى بعد انتهاء الاستعمار العسكري. حيث قال:" أن "القابلية للاستعمار هي التي تجعلنا نستسلم للتغريب الفكري والثقافي، حتى بعد زوال الاستعمار العسكري". ورأى أن العالم الإسلامي يعاني قابلية للاستعمار التي تجعله يستورد الأفكار والمفاهيم الغربية دون نقد، مما يؤدي إلى فقدان الهوية الحضارية للأمة العربية الإسلامية (ابن نبي، ٢٠١٨، ٥٠).

- التغريب كاستعمار فكري:

اعتبر مالك بن نبي أن التغريب هو شكل من أشكال الاستعمار الفكري الذي يهدف إلى تدمير الهوية الثقافية والحضارية للأمة الإسلامية. ووصف هذا النوع من الاستعمار بأنه أكثر خطورة من الاستعمار العسكري، لأنه يخترق العقل والثقافة. قائلًا: "أن التغريب هو استعمار العقول قبل استعمار الأرض، وهو أخطر لأنه يقتل روح الأمة ويجعلها تابعة فكريًا" (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٤٥).

- **أشكال التغريب: تحدث مالك بن نبي عن عدة أشكال للتغريب واستخلصها الباحثان فيما يلي (ابن نبي، ٢٠١٩، ٦٠):**

✓ **التغريب الثقافي: استيراد الثقافة الغربية دون تمييز بين ما يتوافق مع القيم الإسلامية وما يتناقض معها.**

✓ **التغريب الفكري: تبني الأفكار الفلسفية الغربية، مثل الليبرالية والعلمانية، دون نقد أو تمحيص.**

✓ **التغريب الاجتماعي: تقليد الأنماط الاجتماعية الغربية التي تتعارض مع التقاليد والقيم الإسلامية.**

٢- موقفه من التيار الليبرالي:

استخلص الباحثان من كتابات مالك بن نبي موقفه من التيار الليبرالي في النقاط التالية:

- **فصل الدين عن الحياة: انتقد ابن نبي التيار الليبرالي لتبنيه فكرة فصل الدين عن الدولة والحياة العامة، معتبرًا أن هذا الفصل يتناقض مع طبيعة الإسلام كمنهج حياة شامل. ورأى أن الليبرالية تستند إلى فلسفة فردية ومادية تهمش الجانب الروحي والأخلاقي للإنسان. مؤكدًا أن "فصل الدين عن الحياة يؤدي إلى تفكك المجتمع وفقدان القيم الروحية التي تحفظ توازنه" (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٤٥-٤٦).**
- **استيراد الأفكار دون نقد: اعتبر أن تبني الأفكار الليبرالية دون نقد يؤدي إلى فقدان الهوية الحضارية للأمة الإسلامية. ووصف هذا النهج بأنه قابلية للاستعمار، حيث يصبح المسلمون تابعين فكريًا للغرب. حيث أشار أن "القابلية للاستعمار هي التي تجعلنا نستورد الأفكار الغربية دون وعي بحقيقتها أو تأثيرها في هويتنا" (ابن نبي، ٢٠١٨، ٧٨).**
- **الفردية المفرطة: انتقد التركيز الليبرالي على الفردية المفرطة، معتبرًا أنها تقيد قيم التضامن الاجتماعي والأخوة التي يدعو إليها الإسلام. وأشار إلى أن "الفردية المفرطة في الفكر الليبرالي تتناقض مع مفهوم الجماعة والأخوة في الإسلام." (ابن نبي، ٢٠١٦، ١١٢).**

٣- موقفه من التيار الماركسي:

- **المادية التاريخية: انتقد ابن نبي الفلسفة الماركسية لتركيزها على الجانب المادي وتجاهلها للبعد الروحي والأخلاقي في حياة الإنسان. واعتبر أن الماركسية، رغم ادعائها بالعدالة الاجتماعية، تقود إلى استبداد جديد وتهميش للقيم الإنسانية. كما أكد على أن"**

الماركسية تقدم حلولًا مادية لمشاكل إنسانية، ولكنها تهمش الجانب الروحي الذي هو أساس وجودنا" (ابن نبي، ٢٠١٩، ٩٥).

- الصراع الطبقي: رفض مالك بن نبي فكرة الصراع الطبقي التي تدعو إليها الماركسية، معتبرًا أنها تتناقض مع مبدأ الأخوة الإسلامية الذي يجمع بين الناس على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية. حيث أشار إلى أن "الإسلام يدعو إلى العدالة الاجتماعية دون الحاجة إلى صراع طبقي، لأنه يعتمد على مبدأ الأخوة الإيمانية" (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٢٠).
- التبعية الفكرية: رأى أن تبني الماركسية في العالم الإسلامي هو شكل آخر من أشكال التغريب، حيث يستورد أفكار غربية دون مراعاة للخصوصية الحضارية الإسلامية. حيث أكد "أن تبني الماركسية في العالم الإسلامي هو استمرار لتبعيتنا الفكرية للغرب" (ابن نبي، ٢٠١٨، ٨٢).

وترى الدراسة أن موقف مالك بن نبي من تيارات التغريب، سواء الليبرالي أو الماركسي، موقفًا نقديًا عميقًا يعكس رؤيته للحضارة والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي. فقد حذر من حالة التبعية الثقافية والفكرية التي يفقد فيها الفرد أو المجتمع هويته وقدرته على الإبداع الحضاري، ويصبح مُقلِّدًا سلبيًّا لنماذج فكرية وافدة دون نقد أو تكيف مع خصوصيته الحضارية، لذا ينبغي رفض التقليد الأعمى مع الانفتاح الواعي على الآخر لإعادة بناء إنسان واعي ومستنير.

ثانيًا: موقفه من التيار الإسلامي بمختلف فصائله:

تناولت كتابات مالك بن نبي قضايا الفكر الإسلامي والنهضة الحضارية للأمة الإسلامية. حيث كان له موقف نقدي تجاه التيارات الإسلامية المختلفة، سواء كانت سلفية محافظة أو تيارات إصلاحية تجديدية. واستخلص الباحثان موقفه من هذه التيارات فيما يلي:

١- موقفه من التيار السلفي المحافظ:

- الإمام أحمد بن حنبل وابن القيم:

كان مالك بن نبي يقدر الجانب الأخلاقي والروحي في فكر الإمام أحمد بن حنبل وابن القيم، لكنه انتقد الجمود الفكري الذي ينتج عن التمسك الحرفي بالنصوص دون مراعاة للسياق التاريخي والاجتماعي. ورأى أن الفهم الحرفي للنصوص دون تجديد يؤدي إلى عجز الأمة عن مواكبة التطورات الحديثة. كما أكد أن التقليد يقتل الروح الإبداعية ويجعل الأمة عاجزة عن

مواكبة العصر. فالنهضة تحتاج إلى فهم ديناميكي للإسلام يتجاوز النظرة التقليدية (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٤٥).

- الفكر الوهابي:

انتقد "مالك بن نبي" بعض جوانب الفكر الوهابي، خاصة تركيزه على الجوانب الشكلية للدين (مثل المظهر الخارجي والعبادات) وإهماله للقضايا الحضارية والاجتماعية. ومع ذلك، أقر بدور الحركة الوهابية في إيقاظ الوعي الإسلامي في الجزيرة العربية. وناقش مالك بن نبي تأثير الحركة الوهابية على العالم الإسلامي، مشيرًا إلى إيجابياتها وسلبياتها فقال: "الوهابية أعادت الروح إلى الجزيرة العربية، لكنها لم تقدم مشروعًا حضاريًا للأمة"، وفكرة الوهابية قبل عام ١٩٣٩م كانت تبدو للاستعمار ممتلئة بالمخاوف لأنها كانت تمثل مركز ثقل في الصراع الفكري في البلاد العربية الإسلامية. وكان دوماً يفكر في وسائل التخلص منها (ابن نبي، ٢٠١٦، ٢٣).

- المهدية والسنوسية:

رأى مالك بن نبي محاولات جادة في حركتي المهدية في السودان والسنوسية في ليبيا لمواجهة الاستعمار وإحياء الروح الإسلامية، لكنه انتقد افتقارهما إلى رؤية حضارية شاملة. ورأى أن هذه الحركات ركزت على الجانب السياسي والعسكري دون الاهتمام الكافي بالبناء الفكري والحضاري. ناقش دور الحركات الإسلامية في مقاومة الاستعمار، وأشار إلى محدودية تأثيرها الحضاري وكان يقول: "المهدية والسنوسية كانوا ردود أفعال ضد الاستعمار، لكنهما لم تبنيا مشروعًا حضاريًا مستدامًا" (ابن نبي، ٢٠١٨، ٥٦).

٢- موقفه من تيار مدرسة الإحياء والتجديد:

- مدرسة الإحياء والتجديد:

كان مالك بن نبي متأثرًا بفكر مدرسة الإحياء والتجديد التي يمثلها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. أشاد بمحاولاتهم لتجديد الفكر الإسلامي ومواجهة التحديات الحديثة، لكنه انتقد عدم اكتمال مشروعهم التجديدي. كان يرى أنهم ركزوا على الجوانب الفكرية والسياسية دون الاهتمام الكافي بالبناء الحضاري الشامل. وأشار عن دور الأفغاني وعبده في إيقاظ الأمة، لكنه أشار إلى أن مشروعهما كان بحاجة إلى استكمال (ابن نبي، ٢٠٢٢، ٤٣).

- الإمام محمد عبده:

أعجب مالك بن نبي بمحاولات الإمام محمد عبده لتجديد الفكر الإسلامي وتطويره ليتلاءم مع العصر الحديث، لكنه رأى أن مشروعه كان بحاجة إلى استكمال من خلال التركيز على بناء

حضارة إسلامية قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة. حيث أشار بن نبي إلى تأثير محمد عبده على الفكر الإسلامي الحديث، لكنه انتقد عدم وجود رؤية حضارية متكاملة في مشروعه. وقال مالك بن نبي: "محمد عبده حاول التوفيق بين الإسلام والعصر الحديث، لكنه لم يقدم مشروعًا حضاريًا متكاملًا" (ابن نبي، ٢٠١٦، ٢٧).

٣- موقفه من مدرسة الجامعة الإسلامية:

كان مالك بن نبي يؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية كإطار لتوحيد الأمة الإسلامية ومواجهة التحديات المشتركة. لكنه انتقد بعض التيارات التي تبنت هذه الفكرة دون أن تقدم مشروعًا حضاريًا متكاملًا. رأى أن الوحدة الإسلامية يجب أن تكون مبنية على أسس حضارية وثقافية، وليس الروابط الدينية أو السياسية فقط. كما أكد أهمية الوحدة الإسلامية قائلًا: "إن الوحدة الإسلامية ليست مجرد تجمعاً سياسياً، بل هي مشروع حضاري يعيد للأمة دورها الريادي" (ابن نبي، ٢٠١٩، ٣٨).

وترى الدراسة أن موقف مالك بن نبي من التيارات الإسلامية تميز بجرأة التحليل وعمق الرؤية، حيث نجح في تشخيص إشكالات الفكر الإسلامي المعاصر دون انحياز، ونقله من دائرة الدفاع عن الهوية إلى صنع وبناء الحضارة لتواكب تحديات الواقع المعاصر.

المحور الثالث: بعض قضايا التربية في كتابات "مالك بن نبي":

في قلب المشروع الفكري الكبير الذي قدّمه المفكّر الجزائري مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣م)، تحتل قضية التربية موقعاً مركزياً باعتبارها المدخل الحقيقي لأي نهضة حضارية حقيقية. فقد جاءت رؤية مالك بن نبي التربوية كاستجابة فكرية عميقة لأزمة العالم الإسلامي الحديث، حيث رأى أن التخلف الحضاري ليس مجرد نتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية، بل هو بالأساس أزمة إنسان فقد مقومات الفاعلية الحضارية بسبب اختلال المنظومة التربوية. وفيما يلي عرض لمفهوم التربية وبناء إنسان متكامل في جميع جوانب شخصيته وأيضًا مناقشة قضايا التربية في مؤلفاته:

أولاً: مفهوم التربية عند مالك بن نبي:

تعد التربية حجر الأساس في بناء المجتمعات وتطورها، فهي تُشكل سلوك الفرد منذ مراحل عمره الأولى، وتزوده بالمهارات والمعارف والقيم والعادات والاتجاهات التي تمكّنه من التفاعل الإيجابي مع محيطه. وتعد التربية ركيزةً أساسيةً لتنشئة أجيال واعية وقادرة على

مواجهة تحديات المستقبل. ومن خلال التربية السليمة، يمكن تحقيق التوازن بين احتياجات الفرد ومتطلبات المجتمع، مما يُسهم في تحقيق التنمية المستدامة والازدهار للمجتمع بأكمله.

ويعد مالك بن نبي التربية بمثابة التأشيرة التي تسمح للفرد بالدخول في الحظيرة المجتمعية، وبها يصبح عددا حقيقيا في المجموعة الإنسانية، بمعنى أن التربية هي عمل اجتماعي يقوم به المجتمع في تحضير وتهيئة الفرد ونقله من الحالة الطبيعية الفردية وما تتميز به من غرائزية وأنانية إلى الحالة المدنية الاجتماعية المتحضرة، وتهيئته للمشاركة الفعالة في بناء وتطوير المجتمع. حيث يقول:" إن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية، ثم يتولى المجتمع تشكيله ليكيف طبقا لأهدافه الخاصة"(ابن نبي، ٢٠١٨، ٦٥).

فتصبح التربية عند مالك بن نبي مشروع مجتمع متكامل يهدف إلى تكوين الفرد وتكييفه للمساهمة في التغيير والتجديد الحضاري المنشود. حيث قال "مالك بن نبي": إن خلق شبكة من العلاقات القادرة على توحيد الطاقات المنطلقة عن طريق الغرائز، وتوحيدها في صورة نشاط مشترك يقوم به مجتمع، وظيفته تجميع هذه الطاقات الفردية لمصلحته بفضل هذه الشبكة، وهذا هو موضوع التربية الاجتماعية عامة (ابن نبي، ٢٠١٨، ٨١).

ومعنى هذا أن التربية ذات طابع اجتماعي حيث تعمل التربية الاجتماعية على استغلال الطاقات الحيوية الفردية وصقلها وتهذيبها في إطار اجتماعي منظم مكونة بذلك شبكة علاقات عامة بين أفراد المجتمع لخدمة للفرد والمجتمع في الوقت نفسه. وعرف مالك بن نبي التربية قائلا:" ليست التربية مجموعة القواعد المفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء، ولكن هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شروط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ". والمعنى أن التربية ليست تلقين الإنسان وحشوه بالمعارف والمعلومات، وإنما هي أولًا بناء الإنسان وتكوينه وتهيئته للمشاركة الفعالة في المجتمع (ابن نبي، ٢٠١٨، ٩٩– ١٠٠).

وترى الدراسة أن التربية تتمثل في كافة الجهود التى تقدمها كافة مؤسسات المجتمع بطريقة منهجية شاملة ومستمرة تهدف إلى تنمية الفرد تنميةً متكاملة (عقليًا، وجسديًا، واجتماعيًا، ووجدانيًا، وأخلاقيًا، وروحيًا)؛ لإعداده للحياة وفق قيم المجتمع، وتطوير قدراته ليصبح فردًا صالحًا، منتجًا، وقادرًا على التفاعل والمشاركة مع ذاته ومحيطه. وهي مسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والمجتمع لضمان إعداد أفراد صالحين ومنتجين ينفعون أنفسهم والمجتمع كله.

ثانيًا: بناء الإنسان المتكامل:

بناء الإنسان الكلي لا يكون إلا من خلال الاهتمام بجميع جوانب الشخصية الإنسانية مثل الجانب الخلقي والجانب النفسي والجانب العقلي والجسمي وليس الجانب العقلي فقط وأن يكون للتعليم فلسفة واضحة تؤمن بفكرة بناء إنسانية الإنسان أولاً. إذ يتوجب أولاً الإيمان بالإنسان ثم فكرة بنائه العقلي والبناء الخلقي والبناء المعرفي بهذا الإنسان (عسل، ٢٠٢١، ١٨٢).

وفيما يلي عرض لاجتهادات مالك بن نبي حول جوانب بناء الذات الإنسانية فيما يلي:

١ – الجانب الروحي:

شرعت العبادات في الإسلام لتنظيم علاقة الفرد بربه، وتظهر عبوديته لله تعالى على وجه واضح، وهي حق الله الخالص على عباده، وفي مقدمتها الصلاة فهي عماد الدين لأنها رابطة مباشرة بين الإنسان وخالقه، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهذب النفس وتحيي الوجدان وتنير الضمير وتربي المصلي على الطاعة والنظام والصبر والانضباط، والتخلق بالخلق الحسن. أما الصوم فهو مدرسة المسلم تعلمه التربية الاجتماعية وذلك بمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين لأنه يستشعر حاجتهم بصومه، والزكاة هي معجزة الإسلام في التكافل الاجتماعي، بحيث تؤمن للمحتاج حاجته وللفقير ما يعينه على الحياة، وللمشاريع الخيرية استمراريتها، مما يضمن دوام المصلحة العامة. والحج مؤتمر إسلامي كبير، واجتماع للتعارف بين المسلمين، ففيه يلتقي المسلمون الوافدون من كل البقاع وفي الحج تبحث المشكلات التي تعترض سبيل المسلمين وكانت معوقا لتقدمهم، والعمل المستمر والتخطيط الواضح المدروس على ضوء حاجات الأمة ومطالبها، لدفع عجلة الحضارة الإسلامية قدما إلى الأمام (فحلة، ١٩٨٩، ٤٢).

وفي الحج إعداد المؤمن على التعاون الاجتماعي وتطهيره من مفاسد الحياة المادية، وتخليصه من العزلة والأنانية، بالإضافة إلى تدريبه على التقشف والاعتماد على النفس وتحمل الشدائد، وفي الحج تذوب الفروق الفردية فلا يتعالى أحد لأن لباسهم واحد وذلك لتطبيق المساواة بين المسلمين.

وتؤكد الدراسة أن العبادات إجمالاً تردع المسلم عن ارتكاب المعاصي، وتجعله يراقب ربه في السر والعلانية، وتقوي نفسه، ولا شك أن المجتمع سيكون آمنًا مستقرًا كلما زاد فيه عدد الصالحين، وعلى هذه العبادات في الإسلام إصلاح الفرد والمجتمع على حد سواء، هذا الفرد الذي هو اللبنة الأولى في إنشاء مجتمع حضاري. فالعبادات هي أساس الحضارة الإسلامية.

٢- الجانب الخلقي:

يرى مالك بن نبي أن التربية الخلقية تسعى إلى تشكيل وبناء عالم الأشخاص الذي يتسنى من الله تشكيل عالم الأفكار وعالم الأشياء. وهذا عبر عملية الإشراط المتمثلة في الترويض، والتهذيب، والتوجيه للطاقة الحيوية للأفراد لتجعل منهم أفرادًا مكيفين (أبوسنان، ٢٠٢٢، ٩) وأخطر ما أصاب المسلم كان الانفصام بين مبادئه وواقعه ممثلا في الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة، ويلخصها الفرزدق في قوله للحسين بن علي رضي الله عنهما، واصفًا أهل العراق: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، هذه الظاهرة التي ازدادت تفشيا في مجتمع ما بعد الموحدين، فأصبح المسلم بتأثير عقدة التفوق قليل المحاسبة لنفسه فلا يعترف بأخطائه، وأصبحت المعادلة التي تقوده في هذا المجال: بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم، فالنتيجة أنه كامل، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم (صالح، ٢٠٢٢، ٢١).

وترى الدراسة أن هذه الروح الخلقية منحة إلهية جاءت بها الأديان السماوية، ودورها هو إقامة علاقات اجتماعية بين الأفراد وفق منهج اجتماعي كما في قوله تعالى "وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [الأنفال:٦٣]، وهذه الآية الكريمة تضعنا أمام حقيقة إلهية عميقة: أن التوحيد الحقيقي للقلوب هو هبة ربانية قبل أن يكون جهداً بشرياً. وفي هذا السياق يؤكد الباحثان على موقف مالك بن نبي الذي يجمع بين الإيمان بالوحي الرباني وإدراك السنن التاريخية.

٣- الجانب العقلي:

يرى مالك بن نبي أن التربية العقلية هي الأساس الذي تقوم عليه أي نهضة حضارية. من خلال تحرير العقل من التبعية الفكرية وتعزيز المنهج العلمي والأخلاقي، والذي يمكن من خلاله بناء الأمة الإسلامية وتجاوز حالة التخلف التي تعيشها.

لا تولد الثقافة إلا من خلال اهتمام أسمى يمكن من دونه أن يتجمد (عالم الأفكار) و(عالم الأشياء) حتى كأنه قطع من الآثار في متحف فيفقد كل فاعلية اجتماعية. ويمكننا أن نفسر هذا الاهتمام الأسمى بالنسبة إلى الفرد على أنه علاقة عضوية تربطه بـ (عالم الأفكار) و(عالم الأشياء)، فإذا ما انعدمت هذه العلاقة لم تعد للفرد سيطرة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يمر بها دون أن يتصل بكيانها، ويتعلق بظواهر الأشياء دون أن يتعمقها، ويلم بالأفكار بعض إلمام دون أن يتعرف عليها (ابن نبي، ٢٠١٨، ٤٨).

ومنذ ذلك العصر كان المسلم ينزلق على سطح الأشياء، ويمر بجانب الأفكار دون أن يتعمقها، لأنه لم تعد له علاقة بهذه أو تلك، فلم يعد ينتج عن لقائه بالحياة الاجتماعية تلك الصدمة القوية التي تغير أسلوبها كما تغير سلوكه. فقد كان المجتمع الإسلامي في عصر الفارابي يخلق أفكاراً، وأنه كان على عهد ابن رشد يبلغها إلى أوربا، وأنه بعد ابن خلدون لم يعد قادراً لا على الخلق ولا على التبليغ. إن القيمة الثقافية للأفكار وللأشياء تقوم على طبيعة علاقتها بالفرد، وإن (نيوتن) بدلاً من أن يأكل التفاحة قد استخرج معناها، إذ كانت صلته بعامل الأشياء مختلفة عما كان في القرن الحادي عشر. وهذه الصلة تجسد لنا ما اصطلحنا على تسميته (بالعلاقة المتبادلة) بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في مجتمع معين، فهي الجانب العضوي من هذه العلاقة (ابن نبي، ٢٠١٨، ٤٩).

وترى الدراسة أن فكر مالك بن نبي نجح في الجمع بين المنهج التحليلي والرؤية الحضارية الناقدة، مما أعطى طرحه تميُّزًا فريدًا، حيث انتقد الفكر التقليدي بجموده، والفكر المستورد حين يكون تقليدًا أعمى، مما يدل على توازنٍ نقدي فريد. لذا يبقى مالك بن نبي أحد أبرز العقول النقدية التي حاولت فهم أسباب تخلف الأمة وإمكانيات نهضتها.

٤- الجانب النفسي:

لم يهمل مالك بن نبي الجانب النفسي في عملية التربية، بل اعتبره عنصرًا أساسيًا في بناء الشخصية الإسلامية وإعادة تشكيل الحضارة. وركز على نواحي ثلاثة لبناء الإنسان وهي فكرة التوجيه وتوجيه الثقافة وتوجيه الأخلاق لأنه باستقامة هذه النواحي يستقم الإنسان فعملية البناء لا تتم في لحظة ما أو فترة زمنية معينة بل تستدعي وقتا لذا نجده قد ركز على أهمية الوقت وضرورة استغلاله، وفيما يلي تفصيل هذه النواحي الثلاث:

- فكرة التوجيه: هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت فهنالك الملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية لم تستغل أحسن استغلال فكم من طاقة وقوي ذهبت عبثًا ولم تستخدم في إطارها المميز والموجه.
- التوجيه الثقافي: انطلق مالك بن نبي من فكرة انتقاده لمفهوم الثقافة التي يربطها البعض بسعة الاطلاع لأن المفهوم الحقيقي للثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة لذا نجده يعرف الثقافة بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته والثقافة على هذا هي النمط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته. ونستنتج أن الثقافة هي ذلك الجسر الذي يعبر به الإنسان ليصل إلى الرقي أو ذلك الحاجز الذي يحفظ بعضهم الآخر من السقوط من أعلى الجسر فهي تضم في معناه

العام بين كل أطياف طبقة المجتمع بما فيه العالم المفكر وراعي الغنم وهي تهتم في معناها بكل طبقة من طبقات المجتمع (ابن نبي، ٢٠١٨، ٧٨).

- التوجيه الأخلاقي: إن التوجيه الأخلاقي في بعده التربوي يعنى كيف أن الأخلاق تساهم في تكوين الصلات الاجتماعية وهذا عن طريق خلق قوة التماسك الضرورية للأفراد في المجتمع وهذه القوة مرتبطة فيما بينها بالغريزة لكن بعد تهذيبها وتوظيفها بروح خلقية سامية (ابن نبي، ٢٠١٨، ٨٥) وهي الفكرة التي أشار اليها الفيلسوف عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة حيث قال: "أن الناس معادن والمعادن تختلف باختلاف الأنساب التي تتأسس على العصبية ففي نظر ابن خلدون وبقدر ما تكون العصبية قوية يكون الحسب والشرف لأنهم الأصلين في أهل العصبية وهم ثمرة النسب وتفاوت البيوت يكون بتفوت العصبية لأنها سرها، أما عن الأمصار فبيوتهم على المجاز" (خلدون، ٢٠٠٤، ١٢٦).
- التوجيه الجمالي: إن الذوق الرفيع من العناصر الإيجابية في الثقافة، فالتناسب والتناسق في الأشكال والأشياء يعطي للإنسان راحة نفسية وشجع مالك بن نبي دائما الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام العيد. فالجمال الذي يتجسد في الألوان والأصوات والروائح والأشكال يوحي للإنسان بالأفكار ويطبعها بطباعه الخاصة من الذوق الجميل، ويجد الإنسان في نفسه نازعاً إلى الإحسان في العمل لأن المجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، نجد انعكاساتها تظهر في أفكاره وأعماله ومساعيه بأبسط مثال لتحديد معنى الجمال ومدى تأثيره في تكوين شخصية الفرد (ابن نبي، ٢٠١٨، ٩٤-٩٨).

وترى الدراسة أن الجانب النفسي في فكر مالك بن نبي ركز على فهم أزمات الأمة، حيث قدم تحليلًا عميقًا للقابلية للاستعمار كمرضٍ نفسي جماعي يجسد حالة العجز الداخلي قبل الخارجي. فلقد كان رائدًا في الربط بين الصحة النفسية للأمة وإمكانات نهضتها، معتبرًا أن تغيير النفوس هو المدخل الحقيقي لتغيير الواقع، لكنَّ تحليله ظل بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التفصيل في آليات العلاج النفسي والاجتماعي.

٥- الجانب الصحي:

إن مالك بن نبي لم يتخصص في التربية الصحية على نحو مباشر، بل ركز في أعماله على قضايا الحضارة، الثقافة، التربية، والتجديد الفكري في العالم الإسلامي. وتشير الدراسة

أنـه يمكـن ارتبـاط أفكـار مالـك بـن نبـي بشكل غيـر مباشـر بالتربيـة الصـحية، فاستخلصـت الدراسة النقاط التالية من فلسفته العامة:

- مالك بن نبي كان يؤمن بأن النهضة الحضارية للأمة الإسلامية تعتمد على تطوير الإنسان المسلم في الجوانب جميعها، بما في ذلك الجانب الصحي، وأشار إلى أن التقدم الحضاري يتطلب بناء مجتمع سليم نفسيًا وجسديًا. واعتبر أن التربية الشاملة، والتي تشمل التربية الصحية، هي جزء أساسي من عملية إعادة بناء الحضارة الإسلامية.
- أكد ابن نبي على أهمية التربية التي تشمل الجوانب الروحية والعقلية والجسدية. وهذا يتضمن الاهتمام بالصحة كجزء من بناء الشخصية المتوازنة.
- أشار إلى أن النظافة والنظام وهما من مقومات الحضارة، مما يعني أن الاهتمام بالصحة العامة والنظافة الشخصية هو جزء من التربية الحضارية.
- ربط بين الوعي الصحي والوعي الحضاري، معتبرًا أن المجتمعات المتقدمة هي تلك التي تهتم بصحة أفرادها وتوفر لهم بيئة نظيفة ومنظمة.

٦- الجانب الاجتماعي:

يرى مالك بن نبي أن من بين الشروط الأساسية لتأسيس التربية الاجتماعية ونجاحها هو إعادة بناء الإنسان الطبيعي وأن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين (التراب – الوقت) والمواهب في بناء أهدافهم لأن المشكلة التي نوجهها هي مشكلة الرجل الذي يرضى بالقليل من الأشياء يحمل في نفسه روح الهزيمة والاستسلام.

وتتغير المجتمعات وتتطور ويصيبها التجديد في النواحي المادية والاجتماعية خاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه، ولما كانت التربية وسيلة أساسية لزيادة العناصر الثقافية الجديدة، ووسيلة المجتمع أيضا للقضاء على المشكلات الاجتماعية، فإن علاقة التربية بالتغير الاجتماعي علاقة متبادلة لا نستطيع الاستغناء عنها حيث يرى مالك بن نبي أنه لا يمكن تطبيق نفس شروط التربية الاجتماعية في مجتمعات مختلفة ومتنوعة ولا يمكن بناء منظومة تربوية تستقي براهينها من الخارج (فازية، ٢٠٢٣، ٧).

وترى الدراسة أن التربية إذن هي بناء الإنسان بناءً اجتماعيا وإدخاله في المجتمع من الوجهة الصناعية الفنية والوجهة الروحية في آن واحد، ولا يمكن أن يكون للتربية غير هذه الصفة، لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش في غير الحال الاجتماعية، فلا تربية بلا مجتمع ولا مجتمع بدون تربية، ولكي ينجح المجتمع ينبغي عليه أن ينقل إلى النشئ إرثه من المعارف والتجارب والعادات المادية والروحية.

ثالثًا: موقف مالك بن نبي من نظرية المعرفة:

كما هو معروف أنه لا يمكن لأي عالم أن يقيم نظرية ذات بعد فلسفي أو حضاري، إلا أن يكون له حضوُر في قضايا (مشكلة المعرفة) ويمكن تحديد ذلك من خلال الإجابة عن المشكلات التي تثيرها نظرية المعرفة فيما يلي:

أ- طبيعة المعرفة الإنسانية ومصادرها ومذاهبها:

يرى فريق من الفلاسفة أمثال أفلاطون، ديكارت في الفلسفة الحديثة أن مصدر المعرفة من طبيعة عقلية، وبالتالي فإن معيار الحقيقة هو العقل الذي أنتج المعرفة. أما الأطروحة الثانية فتتمثل في المذهب البرجماتي للفيلسوف الأمريكي (بيرس) و(وليم جيمس) و(جون ديوي).

ويرى أن الحقيقة تقاس بمعيار المنفعة. أما الاتجاه الثالث (ابن خلدون، كانط ...) فيجمع بين العقل والواقع والمنفعة في معيار واحد، فهو ينظر إلى الحقيقة نظرة تكاملية. انقسمت المدارس الفلسفية تبعاً لتحديد مصادر المعرفة إلى المذاهب التالية (صالح، ٢٠٢٢ ،١٠):

- **المذهب التجريبي (ديفيد هيوم)، (جون لوك): مصادر المعرفة هي الخبرة الحسية، ووسيلة اكتسابها هي الحواس وحدها.**
- **المذهب العقلي: لا ينكر دور الحواس ولكن لا يجعلها مصدرا صادقا للمعرفة، ولذلك فلا بد من وجود العقل كمصدر صادق للمعرفة.**
- **المذهب النقدي (كانط): الجمع بين المصدرين المتقدمين.**

ب- المصدر الإسلامي للمعرفة وخصوصيته عند مالك بن نبي:

لقد أصبح مفهوم (أسلمة العلوم، أو أسلمة المعرفة، النظام المعرفي الإسلامي،...) من المفاهيم السائدة والمتداولة في الأوساط الإسلامية، وعرفت أسلمة المعرفة بكونها ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة أما الدكتور طه جابر العلواني فيقول أسلمة المعرفة تمثيل الجانب الذي يمكن أن نطلق عليه الجانب النظري من الإسلام، أو الجانب المعرفي الذي يقابل الجانب النظري في سواه). ويمكن عرض خصائص مشكلة المعرفة والتي تعد مدخًلا مهمًا للموضوع، ونتطرق إلى هذه الخصائص كالتالي (صالح، ٢٠٢٢، ١٠):

- **إن فكر مالك بن نبي خارج التصنيف المعرفي المألوف المشار إليه سلفًا ويمكن القول إن مشكلة المعرفة عند ابن نبي ارتقت إلى مستوى البناء الشمولي والنظرية الكاملة المحكمة (فلا يمكن تصنيف الفكر على أنه مثالي ولا هو مادي ولا هو عقلي ولا هو حسي، والصفة التي يمكن أن تستوعبه هي أنه عالم مسلم إنساني).**

- تصور ونظرة مالك بن نبي إلى الكون: عالج بن نبي هذه القضية في كتاباته تحت عنوان " الإجابتان عن الفراغ الكوني" ويوظف مالك بن نبي قصة (روبنسون كروزو) للتعبير عن الأشياء والتحرك نحو المعرفة المادية. والمذهب التجريبي الحسي وحي بن يقظان حيث ينحو (ابن الطفيل) إلى الجواب عن سؤال الكون بطريقة عقلية تصاعدية من الروح إلى خلود الروح، وأخيرا الى فكرة خالق، وهو ما يذكرنا بالمذهب الشمولي الإسلامي الكوني (المدني، ٢٠١٦، ٢٧)
- العوالم الثلاثة عوضاً عن مصادر للمعرفة عند مالك بن نبي: انطلاقًا من مصادر المعرفة السابقة والتي انقسم فيها الفلاسفة والمفكرون إلى المذهب التجريبي الحسي. والعقلي النقدي الذي يجمع بين الحس والعقل. اعتمد في ذلك على مناهج الابستمولوجية بخاصة ما عرف عند بياجيه في حديثه عن مراحل نمو الطفل حسب مباحث علم النفس التربوي، ثم تعميم ذلك على مراحل نمو البشرية (محمد، ٢٠١١، ٢١٥).
- تأملات في العوالم الثلاثة الأفكار والأشخاص والأشياء عندما تتفشى في المجتمع ظاهرة الانفصال بين الأفراد، ويحاول كل إنسان العمل أو التفكير أو التخطيط بمفرده، حينها يمكن أن نعلم سبب الداء استيلاء "الأنا" وتحكمها في الفرد، ومن ثم تغييب الروح الجماعية التي سادت في فترة من الفترات في الشعوب الإسلامية والتي كانت أساس كل نشاط أو عمل. وبغياب الروح الجماعية تفسد العلاقات الاجتماعية.
- النافعية (الفعالية) في فكر مالك بن نبي لا النفعية: ورأى أن أبرز المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي المعبر عن التفكير وعن العمل، وهو في المجال النفسي يدل على انعدام الرباط المنطقي بين الفكر ونتيجته المادية، وقد عالج هذه المشكلة تحت عنوان: "المنطق العملي" وفرق بين الكفاءة والفعالية، وفصل القول في العلاقة بين الفكر والفعل وبين العلم والعمل، وقد استفدنا من ذلك كله في صياغة منظومة الرشد التي تعنى بنقاط ثلاث هي (صالح، ٢٠٢٢، ١٠):

- ذاتية اتباع الأسباب.
- حرية الفعل والفكر.
- سداد المسلك.

وترى الدراسة أن نظرية المعرفة عند مالك بن نبي رؤيةً فريدةً تربط بين الفكر والحضارة، حيث يرى أن المعرفة ليست مجرد تراكم معلومات، بل هي أداة تحوّل حضاري تشكّل وعي الإنسان المستنير وتحدّد مسارات المجتمعات. وأن ما يميّز فكر بن نبي هو نقده للتبعية

الفكرية في العالم الإسلامي، حيث يُحذر من قبول الأفكار دون نقد، ويؤكد أن المعرفة الحقيقية يجب أن تنبثق من الخصوصية الثقافية وتتفاعل مع الواقع لتحقيق النهضة، وستظل نظرية بن نبي إطارًا ثريًا لفهم أزمة العالم الإسلامي الفكرية، وتقدم حلولًا جذريةً تعيد الاعتبار لدور المعرفة الإبداعية في صنع الحضارة.

رابعًا: مصفوفة قضايا التربية في كتابات مالك بن نبي:

وفيما يلي عرض لمصفوفة بعض قضايا التربية التي تناولها مالك بن نبي في كتاباته:

١- القضايا الدينية:

إن من الوظائف الأولى للدين تزكية روح الإنسان، وقد اهتم الإسلام بذلك فشرع العبادات التي تقرب الإنسان من ربه وتساعد العبد على صفاء روحه والبعد عن كل المعاصي والرذائل، كما اعتنى بتفصيل أمور الدنيا مما يضمن للإنسان الطمأنينة والعيش الرغيد، فالدين عماد الحياة الروحية ومنبع الطمأنينة للنفس بشرط أن تظهر آثار هذا الدين في سلوك الإنسان وعمله، لأن الحياة الروحية هي الدافعة للخير، فمتى امتلأ قلب الإنسان بالإيمان قويت إرادته وأقبل على الدنيا بنظرة تفاؤلية، فرأى" مالك بن نبي" أنه بدون العامل الروحي أو المركب الروحي فإن الإنسان والتراب والوقت لن تعدو أن تكون ركامًا راكدًا، أو كومة لا تؤدي دورًا في التاريخ، فتجلى الروح في غار حراء بالنسبة للإسلام هو الذي أنشأ بين هذه العناصر الثلاثة (الإنسان– التراب– الوقت) حضارة جديدة (ابن نبي، ٢٠١٨، ٩٦).

وتناولت الدراسة عرض بعض القضايا الدينية المثارة على ساحة الفكر العربي والإسلامي في فكر مالك بن نبي فيما يلي:

أ- مالك بن نبي وفوضى العالم الإسلامي الحديث:

يعيش العالم الإسلامي اليوم حالة من الفوضى والاضطراب نتيجة تحديات داخلية وخارجية. فمن ناحية، تتفاقم الصراعات الداخلية بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، وانتشار الفساد، وضعف الحوكمة في العديد من الدول الإسلامية. ومن ناحية أخرى، تتدخل القوى الخارجية لتعميق الانقسامات واستغلال الثروات، مما يفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية. ومن هنا تناول مالك بن نبي فوضي العالم الإسلامي الحديث من خلال عاملين يتم عرضهم فيما يلي:

العوامل الداخلية: أشار مالك بن نبي أن العالم الإسلامي اليوم خليط من بقايا موروثة من عصر ما بعد الموحدين، وأجلاب ثقافة حديثة جاء بها تيار الإصلاح، وتيار الحركة الحديثة، وهو خليط لم يصدر– كما رأينا – عن توجيه واع، أو تخطيط علمي، وإنما هو مجموعة من

رواسب قديمة لم تصف من طابع القدم، ومستحدثات لم تنق. هذا يرجع لعناصر من عصور مختلفة، ومن ثقافات متباينة، دون أدنى رباط طبيعي أو منطقي يربط بينها (ابن نبي، ٢٠١٦، ٧٧).

العوامل الخارجية: هناك جانباً خارجياً هو جانب الاستعمار، يظهر هنا في صورة أسطورة تكف العالم الإسلامي عن التطور، وضعف التغلب على مصاعبه النفسية والاجتماعية، التي تؤدي به إلى طمس قيم الفرد، وإمكانيات تطوره، ويكون هذا الجانب أكثر ظهوراً حينما يكون الاستعمار في شمال إفريقيا استبدادياً، كما كانت حالة إندونيسيا وطرابلس الغرب، وكما هو الآن، فهذان الجانبان ليسا منفصلين فهما يتداخلان ويختلطان، ولا شك أن من الضروري تحديد مفهوم عبارة (الاستعمار الاستبدادي)، فإن للاستعمار صورتين: إحداهما صورة الاستعمار المتحفظ، لأنه لا يتدخل مباشرة في نواحي حياة المستعمر جميعها، بل يطلق لأبناء المستعمرة بعض مظاهر الحرية، والثاني صور(الاستعمار الاستبدادي)، الذي يتدخل تدخلاً مباشراً في جميع تفاصيل الحياة، حتى الدينية منها، فتدخله يمتد إلى كل شيء، فيخصص لأبناء المستعمرات (مدرسة استعمارية) يستعمر بها عقولهم، والغريب أن لهذا الاستبداد الشامل لشؤون المستعمرات مجامع علمية تتبناه (ابن نبي، ٢٠١٦، ٨٠).

وترى الدراسة أن الاستعمار يحيط بحياة المستعمر من كل جانب، كما يعد الاستعمار عنصراً جوهرياً في فوضى العالم الإسلامي، فهو لا يتدخل فقط بمقتضى العلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم، وبين المستعمِر والمستعمَر، وإنما يتدخل أيضاً بصورة خفية في علاقات المسلمين بعضهم ببعض. بالإضافة إلى ذلك، يواجه العالم الإسلامي تحديات فكرية كثيرة، بين تيارات متطرفة تروج للعنف وأخرى تحاول الانفتاح على الحداثة دون هوية واضحة. لذا يتطلب لحل هذه الأزمات تعاونًا إسلاميًا حقيقيًا، وإصلاحًا داخليًا شاملاً، حتى يستعيد العالم الإسلامي وحدته وقوته لمحاربة الاستعمار وأساليبه الخفية.

ب– مالك بن نبي وارتباط الدين بالعلاقات الاجتماعية:

إن الاهتمام بقضايا المجتمع ودراسة الظواهر الاجتماعية علما له أصوله ومصادره التي تتطور مع تطور الحياة بشكل متواصل، فبناء الأسرة على أسس تربوية سليمة، وفهم المشكلات التي يقع فيها الأزواج في مرحلة تكوين الأسرة أو مشكلات التربية بعد وجود الأبناء، ودراسة الظواهر السلوكية والمظاهر الدينية والعقائد والأفكار والثقافات والطبقات الاجتماعية والعرقية. تحتاج إلى وعي وعلم في كيفية التعامل معها وفهم فروعها وتفاصيلها. وربط

العلاقات الاجتماعية في الدنيا بالثواب والعقاب في الآخرة، ووضع مجموعة من الضوابط والأطر التي تسهم في البناء السليم لهذه العلاقات (خطاب،٢٠٢١، ٤٩).

وأشار "مالك بن نبي" أن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويمكن النظر إلى العلاقة الاجتماعية والدينية معاً من الوجهة التاريخية على أنهما حدث، ومن الوجهة الكونية على أنهما عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد فنحن نرى من الوجهة التاريخية أن الحدثين يتوافقان ونلاحظ من الوجهة الكونية بناء على ما أسلفنا من اعتبارات أن الحدثين يرتبطان ارتباط الأثر السبب في حركة التطور الاجتماعي، وما توصل إليه مالك بن نبي أن" العلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني" (ابن نبي، ٢٠١٨، ٥٥).

وترى الدراسة أن للدين دورًا محوريًا في تشكيل العلاقات الاجتماعية بل نظام شامل يُنظم حياة الإنسان على المستويات كافة: الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية...وغيرها. فالدين رؤية متكاملة للتعامل بين الناس، بدءاً من الأسرة – التي تعد لبنة المجتمع الأولى – مروراً بعلاقات الأهل والجيران والصداقات، ووصولاً إلى العلاقات الاقتصادية والسياسية. فمبادئ العدل، والرحمة، والتكافل، والوفاء بالعهود، التي تدعو إليها الأديان السماوية، تُشكّل ضمانة للاستقرار المجتمعي. وفي المقابل، فإن أي انحراف عن هذه المبادئ: كالظلم، الكذب، والغش... وغيرها يُولد تفككاً اجتماعياً وأزمات ثقة بين الناس.

ج– مالك بن نبي وحج الفقراء:

الحج، هو شعيرة عبادية إسلامية ومن أركان الدين ويتكوّن من مجموعة من المناسك ويتم من خلال السفر إلى مكة المكرمة في الحجاز، فيؤدي المسلم هناك مجموعة من الأعمال العبادية وله أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية، كما يعد الحج أكبر تجمع للمسلمين حيث يجتمع مجموعات من جميع الفرق الإسلامية في أيامه بمكة. فهو فريضة واجبة لمرة واحدة على كل مسلم مكلف ومستطيع. وينقسم الحج: إلى حج تمتع وأفراد وقران، والأوّل واجب على من يبعد وطنه عن مكة المكرمة ثمانية وأربعين ميلاً (أي ما يقارب تسعين كيلومترًا) أما الإفراد والقران فهو وظيفة من يكون موطنه في مكة أو فيما دون المسافة المذكورة. ويجتمع في مناسك الحج عدد كبير من المسلمين من كافة المذاهب الإسلامية؛ لذا فهو أكبر مناسبة لاجتماع للمسلمين (السيستاني، ٢٠٢٣، ٣).

وتحدث مالك بن نبي عن الحج قائلاً" أن هتاف الأرواح التي تقشعر عند سماع نداء هجرة ميمونة، فهو أشد غلبة من النداء العجيب الذي يتردد في غريزة بعض الأسماك ليقودها في هجرة تزاوج نحو بقعة ما بعيدة حيث تتم معجزة تحولها وتكاثرها في كل عام أيضًا، يترك آلاف المؤمنين قطعانهم وحقولهم، ومتاجرهم أو خيامهم وينفصلون عن عائلاتهم للالتحاق بالرحلة المبرورة التي تقوم بها الأرواح المؤمنة". ووصف الحج بأنه نسمة من روح الجنة وريحانها، وبشرى بالرحمات لعباده المخلصين (ابن نبي، ٢٠٠٩، ٢٩).

وترى الدراسة تأكيدًا على أن الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو فريضة عظيمة على كل مسلم بالغ قادر جسديًا وماديًا. تمثل هذه العبادة العظيمة لقاءً عالميًا يجمع المسلمين من كل الأعراق والثقافات في مكان واحد، وزمان واحد، بلباس واحد(الإحرام)، يتضرعون إلى إله واحد تذكيراً بالمساواة بين البشر وبالبعث يوم القيامة، مما يجسد وحدة الأمة الإسلامية وقوة أخوّتها. فالحج رحلة إيمانية يزيد قيم التسامح والصبر وتجديد الإيمان والعهد مع الله عزل وجل.

٢- القضايا الاجتماعية:

من الحقائق الثابتة أن الإنسان مدني بالطبع، أي أن الاجتماع ضروري للإنسان، فهو يولد ويعيش ويموت في المجتمع، والإسلام نظم الحياة الاجتماعية فالدين يربط الصلة بالله كما يبني العلاقات الاجتماعية التي تدخل المجتمع في دائرة الحضارة، ومن الأنظمة الاجتماعية التي حرص الإسلام عليها الأسرة، فهي أساس كيان المجتمع. كما نظم الإسلام الزواج وبين حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة، كما أشار إلى أحكام الطلاق وما يترتب عليه بالنسبة للزوجين والأبناء، ونظم العلاقة بين الآباء والأبناء بضبط حق وواجب كل واحد منهما نحو الآخر ودعم صلة الرحم، وحفظ حقوق الناس باختلاف دياناتهم في السلم والحرب (خلدون، ٢٠٠٤، ٥٨٥).

ويؤكد مالك بن نبي على دور التربية الاجتماعية في تحقيق ذلك، كونها تمكنه من التأقلم مع الآخرين والتكيف معهم باعتبارها وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ وهو يجعل من التربية الاجتماعية ضرورة للتحضر، بل هي ما يحدد معنى التحضر، باعتبار أن التربية هي التي تحضر الإنسان لإدماجه في العيش المشترك والتحرك وفق كيان واحد ضمن

شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنظم المجهود الجمعي وتتوجه به إلى غاياته التاريخية (ابن نبي، ٢٠١٨، ١٥٥).

وتؤكد الدراسة أن الجانب الاجتماعي يشكل بعدًا وأساسًا رئيسًا في التربية، كما تعد التربية الاجتماعية هي العمود الفقري لأي مجتمع ناجح، فهي العملية التي يتم من خلالها غرس القيم والأخلاق والمهارات التي تمكن الفرد من التفاعل مع محيطه الذي يعيش فيه. كما تسهم التربية الاجتماعية في تكوين شخصيات متوازنة قادرة على احترام التنوع الثقافي والديني. كما أنها تنمي الشعور بالمسؤولية الجماعية، من خلال تشجيع العمل التطوعي والمبادرات المجتمعية التي تعزز الروابط بين الأفراد. وفي عصر العولمة والانفتاح الرقمي، أصبحت التربية الاجتماعية أكثر أهمية لحماية الشباب من الانعزال أو الانجراف وراء الاتجاهات السلبية. يجب على المجتمع بأكمله الترابط والتكامل بين أدوار الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية، لضمان تربية اجتماعية متكاملة تنتج مواطنين فاعلين، قادرين على البناء لا الهدم، والتعايش لا الصراع. فالمجتمع القوي هو الذي يستثمر في تربية أفراده تربيةً اجتماعيةً سليمةً.

وتناولت الدراسة عرض بعض القضايا الاجتماعية في فكر مالك بن نبي فيما يلي:

أ- مالك بن نبي وقضية المرأة المسلمة:

يُعد موقف الإسلام من المرأة ثورة على المعتقدات والآراء التي رسخت في المجتمعات القديمة ولا تزال سائدة عند أتباع بعض الديانات والطوائف، التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة جاحدة، حيث كانت المرأة في الجاهلية عندهم لا وزن لها ولا كيان ولا حقوق، فقد جاء الإسلام لينتقل بوضع المرأة من الحضيض إلى الأعلى، فقفز بها من العدم إلى الوجود، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها. وجاء التشريع الإسلامي ليصون المرأة، ويجعلها عنصراً فعالاً في المجتمع الذي تعيش فيه، فقرر لها حقوقها المشروعة والثابتة، وأعطاها ما تستحق، وأثبت لها كل ما يحقق به كرامتها الإنسانية الحقيقية (عاشور، ٢٠٠٥، ٣٢).

وأشار مالك بن نبي إلى أن هذه التسهيلات التي يقررها الفقه الإسلامي للمرأة غير معمول بها من الوجهة الواقعية، لأنها ربما تبالغ في تحرير المرأة من أسر الحياة المنزلية، ولكن هذه المبالغة من الناحية النظرية، تلفت نظرنا إلى الحالة الحقيقية التي تقع فيها المرأة المسلمة اليوم من حيث الأعباء المنزلية، تعود إليها بنكسة المجتمع الإسلامي، إذ يبدو أن هذا المجتمع، بقدر ما فقد من خصوبته وقوته في التنظيم، قد عاد إلى الحالة التي كان عليها المجتمع الجاهلي من حيث الشدة والعقم (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٠٣).

وتؤكد الدراسة على دور المرأة كفاعل رئيسي في نهضة الأمة، وستظل قضية المرأة المسلمة تشغل حيزًا كبيرًا في النقاشات المعاصرة ما بين تحديات وتمكين، فمن ناحية، يؤكد الإسلام على حقوق المرأة الكريمة، من التعليم والعمل والمشاركة المجتمعية، وقد كرّمها القرآن والسنة كشريكة أساسية في بناء الأسرة والمجتمع. ومن ناحية أخرى، تواجه المرأة المسلمة في بعض المجتمعات تحديات مثل التمييز، والعنف، الظلم، والعادات التقليدية التي تحد من حريتها. ولكن في العصر الحديث، ظهرت نماذج مؤثرة لنساء مسلمات حققن إنجازات في مختلف مجالات المجتمع، من العلوم إلى الفنون إلى القيادة السياسية، مما يؤكد أن تمكين المرأة لا يتعارض مع القيم الإسلامية الأصيلة. ومع ذلك، تبقى الحاجة ملحة لإصلاحات تعليمية وقانونية واجتماعية تضمن للمرأة المسلمة حقوقها كاملة، في إطار يوازن بين الهوية الدينية ومتطلبات العصر.

ب- مالك بن نبي ومشكلة التكيف الاجتماعي:

يعد التكيف الاجتماعي عملية اجتماعية على جانب كبير من الأهمية، حيث يتكيف الإنسان مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ويصبح قطعة منها، وعنصراً منسجماً من عناصرها وتصبح من أهم مقومات شخصيته، ومن أعز ما يحرص عليه، ولهذا فإن معيار الاستقرار النفسي ومن سمات الشخصية السوية قدرتها على التكيف مع الآخرين والتوافق مع الأوضاع الاجتماعية وتحقيق قدر معقول من التواصل مع الآخرين (عبد الحميد، ٢٠٢٤، ١).

وأشار "مالك بن نبي" أن الحياة الاجتماعية تخضع لقانون (رد الفعل)، كما تخضع لها الميكانيكا، وبما أن الاستعمار في نوعه هو (فعل) المدنية الحاضرة. تسلطت به على الشعوب المستعمرة، فلا غرابة إذن أن يكون لذلك الفعل في تلك الشعوب (رد). فمن المعلوم أن علم البيولوجي وعلم الاجتماع يعرفان هذا (الرد) بأنه: اتجاه الفرد ونزوعه إلى التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه، ولو حللنا حياة مجتمعنا وجدنا فيه ألواناً جديدة تدل في جملتها على نزعات متباينة، واستعدادات فردية متنافرة، في مجتمع فقد توازنه القديم، ويبحث الآن عن توازن جديد. ولقد غرس هذا التطور في حياتنا عدداً من المتناقضات، في أشياء مضحكة أحياناً ومبكية أخرى (ابن نبي، ٢٠٢٢، ١٦٠).

وتؤكد الدراسة أن التكيف الاجتماعي هو سعي الفرد للتوافق مع محيطه المجتمعي بسلام، مع المحافظة على قيمه وهويته. يتطلب التكيف الناجح مرونة فكرية تسمح بتبني الأفكار المفيدة من الثقافات الأخرى مع التمسك بالمبادئ الثابتة، إلى جانب وعي ذاتي يقاوم

الضغوطات المجتمعية السلبية. مما يمكن الفرد من المشاركة الإيجابية في المجتمع مع الحفاظ على سلامته النفسية وقناعاته الشخصية.

جـ- مالك بن نبي والثروة الاجتماعية:

يتوقف بناء أي رأس مال اجتماعي على الظروف والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وسياسات خدمات الرعاية الاجتماعية واستراتيجيتها والرعاية الرسمية وغير الرسمية ودرجة تكاملها في المجتمع والحفاظ على الموروثات الثقافية والهوية الثقافية ومتغيرات بناء الشخصية التنموية في المجتمع، ويستخدم التخطيط طويل المدى لتقييم جهود ومداخل بناء رأس المال الاجتماعي، بينما يستخدم التخطيط قصير المدى لتقوية جهود وأنشطة بناء رأس المال الاجتماعي (السروجي، ٢٠٠٩، ٩٥).

ولا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من الأشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار. وقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة، كأن يحدث فيضان أو تقع حرب، فتمحو منه (عالم الأشياء) محواً كاملاً، أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة عليه، فإذا حدث في الوقت نفسه أن فقد المجتمع السيطرة على (عالم الأفكار) كان الخراب ما حقًا. أما إذا استطاع أن ينقذ (أفكاره) فإنه يكون قد أنقذ كل شيء، إذ إنه يستطيع أن يعيد بناء (عالم الأشياء) (ابن نبي، ٢٠١٨، ٣٨).

وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل فعالاً مؤثراً. وعليه، فإذا كانت ثروة مجتمع معين يتوقف تقديرها على كمية أفكاره من ناحية، فإنها مرتبطة بأهمية شبكة علاقاته من ناحية أخرى. والحد المثالي للتطور الاجتماعي الذي يمكن أن يبلغه مجتمع ما، متوقف على الحالة التي يحقق فيها هذا المجتمع أفضل الظروف النفسية الزمنية لأداء نشاطه المشترك. وهذا يحدث بوجه عام عندما يكون المجتمع في حالة النشوء؛ كالمجتمع الإسلامي في العهد المدني، والمجتمع المسيحي في مغارات روما، إذ إنه في هذه الحالة يحقق أرفع درجات الاندماج والانسجام، فيكون التوتر الأخلاقي قد بلغ ذروة درجاته (ابن نبي، ٢٠١٨، ٣٩).

د- مالك بن نبي والمرض الاجتماعي:

ينسب استخدام هذا المفهوم لأول مرة إلى مالك بن نبي" ويقصد به عملية تمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية لمجتمع ما فتصبح بذلك عاجزة عن القيام بأي نشاط مشترك بفعالية، إلى أن ينتهي به إلى التحلل الكمي بعد أن يحتل المرض جسمه الاجتماعي" (عمارة، ٢٠١٦، ٢٧١).

ويرى مالك بن نبي أن تطور هذا المجتمع يستوجب قوة شبكة العلاقات الاجتماعية وأي ضعف في هذه الشبكة يؤدي إلى إصابة المجتمع بالأمراض وهذا ما يؤدي بدوره إلى هلاك هذا

الحقل حتى وإن كان يملك كل الموارد المتعلقة بالأشخاص والأفكار والأشياء، حيث يقول في هذا الصدد:

إذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته، وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، ذلك أمارة على أن المجتمع مريض، وأنه ماض إلى نهايته. أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك يؤدي إلى هلاك المجتمع. وحينئذ لا يبقى منه إلا ذكرى مدفونة في كتب التاريخ (العمراوي، ٢٠١٩، ٨٣).

هذا التعريف نفهم من خلاله أن المرض الاجتماعي لدى " مالك بن نبي" ظاهرة اجتماعية مرضية تصيب العلاقات الاجتماعية بفساد المنظومة الاجتماعية والأخلاقية التي تؤدي إلى ظهور ظواهر بأبعاد سلبية تؤثر في طبيعة العلاقات الاجتماعية. فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبًا أو مستحيلاً، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات، بل للعثور على أدلة وبراهين. وفي حالة الصحة يكون تناول المشكلات من أجل علاجها هي، أما في الحالة المرضية فإن تناولها يصبح فرصة لتورم (الذات) وانتقاشها، وحينئذ يكون حلها مستحيلاً، لا لفقر في الأفكار أو في الأشياء، ولكن لأن شبكة العلاقات لم تعد أمورها تجري على طبيعته ا(ابن نبي، ٢٠١٨، ٤٣).

وترى الدراسة أن المرض الاجتماعي هو إشكال نتيجة خلل على مستوى القيم الاجتماعية وأدى إلى حدوث تفكك على مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية. فهو يشبه السرطان الذي ينمو بصمت. وتظهر هذه الأمراض في أشكال متعددة؛ كالتمييز العنصري، والتفكك الأسري، والأنانية الفردية، وانتشار الشائعات، وغياب الثقة بين أفراد المجتمع. وهي أمراض لا تقل خطورة عن الأمراض العضوية، بل قد تكون أشد فتكًا لأنها تدمر الروح قبل الجسد. ويمكن علاج هذه الأمراض من خلال الوعي الفردي ثم الجماعي، وإعادة بناء القيم الإنسانية والأخلاقية التي تشكل المناعة الحقيقية للمجتمع ضد هذه الأوبئة الخفية.

٣- القضايا السياسية:

إن العمل السياسي من صميم العوامل المؤثرة إيجابًا أو سلبًا في المجتمع الإنساني وتنظيماته النفسية والاجتماعية، ربما يحتاج العلماء أحيانا إلى الاستعانة بالعوامل السياسية في تفسير بعض الظواهر النفسية والاجتماعية، ولا بد له من الاستعانة بمحصلات ونتائج دراسات هذه الظواهر ليعرف طبيعة الواقع الذي يوجهه العمل السياسي ويصوب قرارته، وتصوراته حول هذا المجتمع ومعرفة الأسباب والعوامل المساعدة على استقراره ورفاهيته،

فمعرفة عوامل الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد من متطلبات نجاح العلاقات. وتناول الباحثان وما يلي:

- معايير السياسة عند مالك بن نبي: إن طبيعة المرحلة التي عاشها ابن نبي وطبيعة مشروعه الحضاري الذي شيده، وظروف الكتابة لديه، كل هذا لم يخول له تناول السياسة بوصفها علما أو نظريات سياسية سواء من التراث الإسلامي بمفاهيمه المعروفة، ولا حتى من التراث السياسي الغربي، بل حتى على مستوى المرجعية النصية للتراث الإسلامي، ولا من الفكر السياسي لأعلام المسلمين، وإن كان ابن نبي يتصل أحيانا ومباشرة ببعض وقائع التجربة التاريخية للمسلمين استقاء لمبادئ معينة أو استدلالا بها على بعض تصوراته السياسية خصوصًا من العهد النبوي وتجربة عهد الخلفاء الراشدين، لكن الذي طغى على تناوله لموضوع السياسة هو هموم المرحلة الاستعمارية كما أنه أخذ ينظر إلى مبادئ مجردة من وحي الخبرة الواقعية للعالم الإسلامي بعد الاستعمار وليس الخبرة التاريخية فحسب، فهو يتحدث كثيرا عن الأداء السياسي من حيث متطلباته وشروطه ومحتواه الذي يضمن الفعالية والنجاح في تأطير المجتمع وخدمته ونحن نلمح طابعا وظيفيا في تحليله للبنية السياسية الذي يتعامل معها فلا يتحدث عن البنية السياسية من حيث هي أصول عامة ومقاصد موجهة بل من حيث هي وظيفة ومهام مطلوبة (لمشيشي، ٢٠١٢، ١٦١).
- مبادئ السياسة عند مالك بن نبي: وضع مالك بن نبي بعض المبادئ الواجب توفرها في السياسة فيما يلي (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٣٤):

- أن يكون للسياسة لها تأثير حقيقي على الواقع المحسوس في الوطن ليس بصفتها الإدارية فحسب، ولكن بصفتها مشروعا على مستوى الأفكار أيضا.
- أن يكون للسياسة تأثير حقيقي عميق في النفسيات الفردية بشكل يجعل الطاقات الاجتماعية طاقات متحركة لا طاقات راكدة تخضع سلبيا للفعل السياسي.
- أن تعتني بإعداد الإنسان الصالح وتربية أجيال قادرة على صناعة التاريخ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت الدولة على بصيرة من خصوصياتها الحضارية والتاريخية لتجعلها محتويات تربوية في إعدادها لأفرادها في هذا يقول ابن نبي:" فرسم سياسة معينة معناه إعداد الشروط النفسية والمادية للتاريخ، أعني إعداد الإنسان لصنع التاريخ".
- من واجبات الدولة أن تحسن ظروف المعيشة وعلاج الحياة الاجتماعية وإصلاح المجتمع بشتى طبقاته.

ويدور الحديث هنا حول اجتهادات مالك بن نبي حول بعض القضايا السياسية فيما يلي:

أ- مالك بن نبي وفوضى الاستعمار وبصيص الأمل:

كان مالك بن نبي عميقًا في فهم الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي، وعميقًا في معالجة القابلية للاستعمار عند المسلمين، ولكنه في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة أو طفولة سياسية وفيما يلي رأيه في بعض القضايا السياسية المطروحة آنذاك:

- أعجب مالك بثورة ٢٣ يوليو في مصر، ومدحها ووضع آماله فيها من ناحية الإصلاح الزراعي والصناعة، وإنشاء وزارة الثقافة والإرشاد، والحياد الإيجابي.
- علق مالك بن نبي آمالاً كبيرة على مؤتمر باندونغ، واعتبره كتلة سلام للعالم، واعتبر هذا التنوع الذي يضم تسعاً وعشرين دولة، تضم تراثاً فكرياً متفاوتاً (يمكن بطبيعة الحال أن يقدم العناصر اللازمة لبناء قاعدة متينة للسلام) (ابن نبي، ٢٠١٦، ٩٨).
- كانت روسيا بعد الثورة الشيوعية تدعي أنها دولة صديقة للشعوب وللعالم الثالث، وأنها ليست دولة استعمارية، وقد صدّق مالك بن نبي هذه المقولة: (فالمناخ الاستعماري الذي تكوّن في أوروبا وأمريكا على حد سواء، وفي الاتحاد السوفييتي قبل الثورة أيضاً) ولكن الحقيقة أن روسيا مستعمرة قبل الثورة وبعدها، ولم تتخل عن جشع الدول الكبرى، وهي وجه آخر للحضارة الغربية (ابن نبي، ٢٠١٨، ٧).
- نقد مالك الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات، وتعتمد أسلوب المظاهرات والحفلات، وهو محق في هذا، ولكنه شارك في هذه الوسائل، وساعد «مصالي الحاج» في قيام الحزب الوطني، مع أنه ينتقده هو وحزبه، ولكنه حب الحركة ثم يكتشف الأخطاء بعدئذ (ابن نبي، ٢٠١٨، ٩).

وترى الدراسة أن فوضى الاستعمار آليةً مدروسةً لتحطيم إرادة الشعوب وفرض الهيمنة والسيطرة عليهم، حيث يعتمد المستعمرون على عمل اضطرابٍ ممنهج في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للدولة، لضمان استمرار السيطرة عليها. ففي فلسطين، مثلاً، تُدمر إسرائيل البنية التحتية في غزة بشكلٍ متكرر؛ فتستهدف محطات المياه والمخابز والأراضي الزراعية فور إصلاحها، مما يحوّل الحياة اليومية إلى صراعٍ دائمٍ للبقاء لكن في مواجهة هذه الفوضى، يبرز بصيص الأمل من خلال مقاومة الشعوب وتلاحمها. فالتوافق الفلسطيني الأخير بين الفصائل، أعاد إحياء فكرة الوحدة الوطنية، مع التركيز على المقاومة الشعبية كخيارٍ استراتيجي، مما قد يُغير قواعد الاشتباك مع الاحتلال. فتُظهر التجربة الفلسطينية أن الفوضى الاستعمارية قد تُولد مقاومةً أكثر وعيًا.

ب– مالك بن نبي والقابلية للاستعمار:

يعد الاستعمار من الوجهة التاريخية نكسة في التاريخ الإنساني، حيث إن الاستعمار قد رجع بالإنسانية في التاريخ ألف عام قبل الحضارة الإسلامية.

ويقول ابن نبي أن من الذي بعث العالم الإسلامي من نومه؟ من الذي أيقظه منذ خمسين سنة تقريباً؟ من الذي قال له: قم؟ إنه الاستعمار. نعم إنه قد خلع علينا بابنا وزعزع دارنا، وسلب منا أشياء لقد أخذ منا حريتنا وسيادتنا وكرامتنا وكتبنا المنسية، وجواهر عروشنا وأرائكها الناعمة التي كنا نود أن لو بقينا عليها نائمين. ولكن هذا الواقع الاستعماري هو من أيقظ الشعب الذي استسلم لنوم عميق بعد ما كان يرقد في نعم حضارته، والتاريخ قد عودنا أن كل شعب يستسلم للنوم، فإن الله يبعث عليه سوطاً يوقظه فكما أنه ليس للاستعمار أن يتصرف في الزمان والمكان، فكذلك لا يستطيع أن يتحكم في عبقرية الإنسان (ابن نبي، ٢٠٢٢، ١٥٢).

ويؤكد مالك بن نبي أن القيم الجوهرية الثلاث: الإنسان والتراب والزمن– هي الزاد وقت العسرة – في يد شعب، يشعر بها حينما ينهض من النوم، فإن ذلك الشعب، بلا شك، يمسك بيده مفتاح الأقدار، وربما تصادفه عراقيل أو يعثر مرات كثيرة، أو يفقد الأدوات المساعدة في طريقه (ابن نبي، ٢٠٢٢، ١٥٣).

وترى الدراسة أن الاستعمار في الواقع يخدع الضعفاء، ويخلق في نفوسهم رهبة ووهماً، ويشلهم عن مواجهته بكل قوة، وأن هذا الوهم يتعدى أثره إلى المستعمرين أنفسهم، فيغريهم بالشعوب الضعيفة ويزين لهم احتلالها، إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة، ويدقون ساعات الليل عند غرة الفجر وفي منتصف النهار، لترجع تلك الشعوب إلى العبودية والنوم. لذا يجب التحرر من القابلية للاستعمار والذي يبدأ بإعادة بناء الإنسان والمجتمع على أسس من الاستقلالية الفكرية والإبداع والعمل المنتج.

جـ– مالك بن نبي والديمقراطية في الإسلام:

يعد مصطلح الديمقراطية من أكثر المصطلحات رواجًا، فقد اتخذتها أنظمة الحكم خاصة في عصرنا هذا وسيلة للخروج من حالة التسلط والاستبداد، ولعل مرد ذلك هو أن بعدها السياسي وارتباطها الأساسي بأنظمة الحكم والسلطة هو الذي فتح الباب أمام الإيديولوجيا لتوظيف مفهومها وفق اعتقادات وقناعات شخصية معينة (حسن،٢٠١٧، ٦).

فصنف مالك بن نبي الديمقراطية إلى ثلاثة وجوه وهما، الديمقراطية شعور نحو الـ (أنا)، والديمقراطية شعور نحو الآخرين، والديمقراطية مجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية

اللازمة لتكوين هذا الشعور في الفرد وتنميته. فهذه الوجوه الثلاثة تتضمن كلاً من مقتضيات الديمقراطية الذاتية والموضوعية، أي كل الاستعدادات النفسية التي يقوم عليها. وتتويج لحركة الإنسانيات، وتقدير جديد لقيمة الإنسان؛ وتقديره لنفسه وتقديره للآخرين. فالشعور الديمقراطي هو نتيجة لهذه الحركة عبر القرون، ولهذا التقدير المزدوج لقيمة الإنسان"(ابن نبي، ٢٠٢٣، ١٣٧).

وترى الدراسة أن مسألة الديمقراطية في الإسلام تثير جدلاً واسعًا بين مؤيدٍ يعدها متوافقةً مع مبادئ الشورى والعدل في الإسلام، ومعارضٍ يراها نظاماً غربياً لا يتناسب مع ثوابت الدين الإسلامي. فإن الديمقراطية الغربية بصورتها المطلقة – التي تسمح بتشريع مخالفة الثوابت الدينية – تتعارض مع الإسلام. ويمكن تبني ديمقراطية إسلامية من خلال نموذج يحترم إرادة الأمة في اختيار حكامها ومراقبتهم، مع الالتزام بالضوابط الشرعية التي تحمي الحقوق وتحدد الواجبات. تثبت أن الجمع بين المبادئ الإسلامية والديمقراطية ممكن، لكنه يحتاج إلى توازن دقيق بين الشرع والإرادة الشعبية. وألا تصبح الديمقراطية وسيلةً لسيطرة الأغلبية على الحقوق الثابتة.

د- مالك بن نبي والحقوق والواجبات:

الحق كمبدأ في جميع النظم والثقافات؛ لا تكون له قيمةٌ عملية إلا إذا فرض احترامه على سائر المكلفين به، وهذا الاحترامُ الذي يفرضه على سائر المكلفين به يكون واجبًا يقع على كاهلهم من زاوية أخرى، فهو واجبٌ يفرضه الشرع؛ بحيث إذا لم يقم المكلفون به أجبرهم القانونُ التشريعيُّ على ذلك، ومن خلال ذلك تتكامل في الإسلام العلاقةُ بين الحق والواجب. فكل حق في الغالب يقابلُه واجبٌ، وكل واجب يقابله حق، فما هو حق لإنسانٍ هو واجبٌ على الآخر، وكل واجب على إنسان هو حق لآخر (الجابري، ٢٠٠٦، ١٤).

ويرى مالك بن نبي أن ترتيب العلاقة بين الحق والواجب على مستوى العلاقة بين الناس؛ والقيام بما يفرضه الواجبُ قد يكون شرطًا في التمتع بالحقوق، والتمتع بالحقوق يفرض القيامَ بالواجبات. والمسألة في نهاية التحليل مسألة معاملة بالعِوَض. حيث قال مالك بن نبي: "إن الحق ليس هديةً تُعطى ولا غنيمةً تُغتَصب، وإنما هو نتيجةٌ حتميَّةٌ للقيام بالواجب، فهما متلازمان"(ابن نبي، ٢٠٢٢، ٣٥).

وترى الدراسة أن الحقوق والواجبات هما وجهان لعملة واحدة، فلا يمكن للمجتمع أن يتحقق فيه العدل والاستقرار إلا عندما يكون هناك توازن بين ما للأفراد من حقوق وما عليهم من واجبات. فالحقوق تكسب الإنسان كرامته وتضمن حريته في العيش بسلام، مثل الحق في

التعليم، والصحة، والمساواة، والعدالة. لكن هذه الحقوق لا تكون مطلقة دون حدود، بل يقابلها واجبات يجب على الفرد الالتزام بها تجاه مجتمعه، مثل المشاركة الإيجابية في بناء الوطن، احترام القانون، وحماية المال العام.

٤- القضايا الاقتصادية:

تشكّل القضايا الاقتصادية اليوم تحديًا مركزيًا، حيث تترابط المشكلات الاجتماعية والمالية بشكل كبير يؤثر على حياة الأفراد والدول. من أبرز هذه القضايا: الفقر، البطالة، التضخم، عدم المساواة، والديون العامة، والتي تتفاقم بسبب سوء الإدارة الاقتصادية، أو الأزمات العالمية، أو غياب العدالة في توزيع الثروة. تبرز في العالم الإسلامي معضلة التبعية الاقتصادية للغرب، وعدم استغلال الموارد الطبيعية بكفاءة، مما يُبقي العديد من الدول في دائرة التخلف رغم امتلاكها ثروات هائلة. وتناول مالك بن نبي بعض القضايا الاقتصادية فيما يلي:

أ- الاقتصاد في فكر مالك بن نبي:

تناول مالك بن نبي الاقتصاد وقيمه وركائزه فيما يلي (عبود، ٢٠٢٢، ٤٣-٤٤):

- ركائز الاقتصاد ثلاثة: وسائل إنتاج، إطارات فنية، تركيز رؤوس الأموال. أما بالنسبة للإنسان (اليد والوقت – العقل – تركيز العمل).
- إن الانطلاقة الاقتصادية يجب أن تعمل على إطعام كل الأفواه وتشغيل كل السواعد.
- إن الاقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية، وقانوناً جوهرياً لتنظيمها، أما في الشرق فقد ظل على العكس من ذلك في مرحلة الاقتصاد الطبيعي غير المنظم.
- الاقتصاد الاشتراكي هو ثمرة التوفيق بين (علم) هو العلم الماركسي وبين (ضمير) هو وعي الطبقات.
- فالاقتصاد يتطوّر خطوة خطوة نحو صورة الاتحاد الاقتصادي.
- إن توعية الإنسان المسلم في الميدان الاقتصادي، يجب ألا تجره إلى وثنية جديدة ليصير من عباد صنم جديد اسمه (الاقتصادانية) أو عبادة الاقتصاد.
- إن القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي الإنسان.
- إن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات.
- لا إنتاج من دون استهلاك، ولا استهلاك من دون إنتاج.

- إنّ القصور الذي يفرضه التخلّف الاقتصادي، إنما هو نتيجة لتصوّره الأشياء لا لطبيعة الأشياء ذاتها.

ب–مالك بن نبي والقيم الاقتصادية:

أشار مالك بن نبي أن العوامل الاقتصادية كلها، مهما كانت درجة تعقدها، هي في مرحلة أولى نتيجة الإنسانية الأولية، وأنه من الممكن إذن لبناء الاقتصاد في بلد في مثل هذه المرحلة أن تقدر القيم الاقتصادية بالقيم الإنسانية أي أن نحدد المصدر الأول في الثروة الطبيعية التي تحت تصرفنا.

يمكننا أن نضع على هذا المنوال القائمة التالية:

الإنسان	الاقتصاد
اليد والوقت	وسائل إنتاج
عقول	إطارات فنية
تركيز العمل	تركيز رؤوس أموال

المصدر: (ابن نبي، ٢٠١٩، ٥٦)

يوضح هذا الجدول، أن القيم الاقتصادية المذكورة في العمود الثاني صادرة كلها عن الأسباب المذكورة في العمود الأول، حتى بالنسبة إلى تركيز رؤوس الأموال، إذا لاحظنا أن المال ما هو إلا العمل المخزن في صورة متنقلة. بالإضافة إلى هذا، الجدول يكشف لنا عرضاً، لأي سبب يعود الضعف، إلى درجة معينة، في المشروعات الاقتصادية المخططة على أساس الاعتبارات الفنية فقط أي الاعتبارات الاقتصادية المجردة، التي لا تأخذ في حسابها العامل الإنساني في الظروف جميعها التي تحتويه.

وأشار مالك أن جميع القيم الاقتصادية ترتبط من حيث التأثير والفعالية بحالات خاصة تتصل بالعوامل الإنسانية، حتى إن الآلة الميكانيكية تزيد أو ينقص إنتاجها حسب ما يعتري الوسط الإنساني، الذي تعمل فيه من حالات توتر أو فتور، أو بتعبير آخر حسب قيمة المسوغات الموجودة وراء نشاطه. ولو حللنا بعض المشروعات الاقتصادية التي نفذت أو في حيز التنفيذ في البلاد التي تمر بمرحلة البناء لأدركنا قيمة العامل الإنساني في هذه المشروعات (ابن نبي، ٢٠١٨، ٥٦).

وترى الدراسة أن القيم الاقتصادية تعد انعكاسٌ للأخلاق والمبادئ التي تحكم سلوك الأفراد والمجتمعات في التعامل مع الموارد والثروات، ويرى الباحثان أن أي نظام اقتصادي ناجح يجب أن يتبنى توازنًا بين الكفاءة والعدالة، وتتمثل قيمه الاقتصادية في العدل، الشفافية، المسؤولية الاجتماعية، والأمانة والصدق في المعاملات، تشجيع الاستثمار، والكفاءة والإنتاجية

والاستخدام الأمثل للموارد دون إهدار... وغيرها. إن القيم الاقتصادية الحقيقية هي تلك التي تضع الإنسان في المركز، فالثروة ليست هدفًا بحد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق العيش الكريم للجميع.

٥- القضايا الفكرية:

وتناولت الدراسة عرض بعض القضايا الفكرية في فكر مالك بن نبي فيما يلي:

أ- مالك بن نبي وتوجيه الأفكار:

أشار مالك بن نبي أن مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار، ولذلك كان علينا أن نحدد المعنى العام لفكرة التوجيه، فهو بصورة عامة قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لا نعرف كيف نوجهها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه، متجهة إلى الهدف نفسه (ابن نبي ،٢٠١٩، ٦٧).

فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت؛ والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دوافع دينية، وبلغة الاجتماع الإنسان الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى (الجماعة) ومعنى(الكفاح). وليس يكفي مطلقًا أن ننتج أفكارًا، بل يجب أن نوجهها طبقاً لمهمتها الاجتماعية المتحدة التي نريد تحقيقها (ابن نبي، ٢٠١٩، ٦٨).

وترى الدراسة أن توجيه الأفكار عملية حيوية لبناء مجتمع واعٍ ومتزن، تجمع بين حرية التعبير وضوابط المسؤولية الاجتماعية. فالأفكار ليست مجرد كلمات عابرة، بل هي بذور تُنتج واقعاً إما خيراً أو شراً حسب طريقة صياغتها وتوجيهها. ففي عصر التحول الرقمي حيث كثرة تداول المعلومات بلا حدود، أصبح توجيه الفكر مسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والإعلام، لضمان عدم انجراف الأفراد خلف أفكار متطرفة أو سطحية.

ب- الفكرة في المجتمع الإسلامي عن مالك بن نبي:

تناول مالك بن نبي الفكرة في المجتمع الإسلامي وأرجعها إلى:

- ضعف أساسنا المفاهيمي:

أشار مالك بن نبي إلى التطور التاريخي للعالم الإسلامي، ويعنى منشآته. كما أنها من ناحية أخرى، ناتجة عن تطوره النفسي، ويعني أفكاره. ويكفي فيما يتعلق بالنقطة الأولى أن

نذكر بما سلف أن كثيراً من الأشياء في العالم الإسلامي قد تلاشت بالموت. وأن الكثير من الأشياء الضرورية لم تولد بعد. والذي يترتب على هذا أن المنشآت في هذا العالم: إما أن تكون قد أصبحت لاغية، وإما أنها لما تتكيف بعد مع أوضاع العالم الإسلامي الراهنة. فمصر هي البلد الإسلامية الوحيدة، التي تهتم بإنجاز منشآت جديدة ضرورية لحياتها الداخلية ولا تصلها بالخارج. أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية فإن الأشياء تبدو أكثر تعقيداً، وذات أهمية أكثر جسامة معاً، فنحن قمنا فيما سلف بالمقارنة بين تطور اليابان الحديثة وتطور الشعوب الإسلامية منذ قرن من الزمان، قلنا إن هذه الشعوب قد دخلت (عالم الأشياء)، وأنها لما تدخل بعد في (عالم الأفكار) كلية (ابن نبي، ٢٠١٩، ٥١).

وترى الدراسة أن (عالم الأفكار) هو الذي يدعم (عالم الأشياء)، العالم الذي لا يقف على قدميه بدون العالم الأول، ولا يمكن أن يقف على قدميه بنفسه إذا ما تعرض لصعوبات. حيث يرى الباحثان أن عالم الأفكار يمثل الحقيقة المطلقة (مثل العدالة المثالية، الجمال الكامل)، وهو يُدرَك بالعقل لا بالحواس. بينما عالم الأشياء هو الواقع المحسوس، حيث تظهر الأفكار في صورة مادية غير كاملة وعابرة.

- الفكرة ومراقب الاستعمار:

عندما تجهل قيمة شيء معين، لا يعني هذا مطلقًا أن العالم كله يجهله مثلنا. وقس على ذلك الحال بالنسبة إلى القيمة الاجتماعية للفكرة؛ إذ يمكن أن نكون على جهل بقيمتها، بل نحن نجهلها فعلاً، ولكن الاستعمار لا يجهلها مثلنا، فقد مَكَّن في العالم لجهاز من المراقب التي تقتصر مهمتها على رصد حركة الأفكار، ومنها نفهم أن كل ما يمر في العالم الإسلامي من أفكار يهمه بصفة خاصة، بقدر ما يهمه النفط، بل أكثر من ذلك بكثير (ابن نبي، ٢٠١٩، ٥٤).

والاستعمار لا يقنع بمجرد الاستعلام عن حركة الأفكار؛ فهذا شأن الفيلسوف، إلا أن للاستعمار فلسفته الخاصة التي تتمثل في التخلص من الأفكار التي تضايقه، وفي الانحراف بها عن مراميها، بتوجيهها خارج المدار الذي أراد أصحابها ابقاءها فيه (ابن نبي، ٢٠١٩، ٥٥).

وترى الدراسة أنه في مراحل الكفاح ضد الاستعمار، تبرز الفكرة كسلاحٍ فعّال يقود الشعوب نحو التحرر، بينما يصبح مراقب الاستعمار رمزًا للسيطرة والظلم. وأن الفكرة تُشكّل وعي الجماهير، بينما يعمل المراقب المستعمر على كبح هذه الأفكار عبر الظلم والتضليل. الصراع

بينهما ليس فقط معركة سياسية، بل هو صراع وجودي بين إرادة التحرر وآليات السيطرة. انتصار الفكرة يعني زوال المراقب، وبداية عصر جديد من الحرية والاستقلال.

ج- مالك بن نبي بين الأفكار الميتة والأفكار القاتلة:

قال ابن نبي في كتابه في مهب المعركة أن (الأفكار القاتلة) هي تلك الأفكار التي نستعيرها من الغرب، كما سوف نطلق على ما يجول بأنفسنا من أفكار فقدت الحياة اسم (الأفكار الميتة). وربما يمكننا أن نلاحظ، أن هذه الأفكار وتلك يعبر كل منهما عن جانب من مأساة البلاد المستعمرة: الجانب الذي نسميه الاستعمار والجانب الذي نطلق عليه (القابلية للاستعمار) (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٣٣).

إن الأفكار الميتة التي ورثناها من عصر ما بعد الموحدين، أخطر علينا من الفئة الأخرى. إن هذه الأفكار التي ما زالت باعتبارها أصبحت ميتة تكون الجانب السلبي في نهضتنا، كانت تكون الجانب الإيجابي في عهد التقهقر الأول الذي مر على الحضارة الإسلامية (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٣٤).

هذه حقيقة في منتهى الوضوح: إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي (أفكارًا ميتة) تمثل خطرًا أشد عليه من خطر(الأفكار القاتلة)؛ إذ الأولى تظل منسجمة مع عاداته وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تكون ما لم تجر عليها عملية تصفية، تكون الجراثيم الموروثة الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل، وهي تستطيع ذلك، لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه (ابن نبي، ٢٠١٦، ١٣٤).

وتأكد الدراسة على رأى مالك بن نبي أن هناك أفكار ميتة بلا حراك ولا تأثير تتسم بالجمود وتقف عاجزة أمام تحديات العصر وهذه الأفكار ضارة لأنها تعيق التقدم ولم تعد قادرة على مواجهة الحياة، وهناك أفكار قاتلة أكثر خطورة تزرع التفرقة والدمار في المجتمع وتحرض على الكراهية وتحول الإنسان إلى أداة للحرب والصراع وتنشرها في المجتمع الإسلامي المعاصر، لذلك ينبغي على المجتمعات الحية مواجهة التحديين معًا من خلال دفن الأفكار الميتة التي تعيق حركة التقدم ومحاربة الافكار القاتلة التي تهدد حياة الإنسان.

د- مالك بن نبي ومظاهر الصراع الفكري:

أشار مالك بن نبي إلى الصراع الفكري في البلاد المستعمرة وقال" أننا لو تتبعنا النشاط الاستعماري في الميدان الفكري في دورة كاملة، أي في معركة تحرر من بدايتها والذي نشير إليه يقوم بدوره على مرحلتين" :(ابن نبي ،٢٠١٨، ٩٩).

- **ففي مرحلة ما قبل الثورة يقوم بدور اللافتة التي ترفع فوق رأس الشعب الشعارات الساحرة (الحرية– الاستقلال– الوطن)، حتى يحوّل الأنظار عن الأفكار الفنية التي تبحث عن الطرق العملية لتحقيق هذه الشعارات.**
- **وفي مرحلة ما بعد الثورة أي في مرحلة التنظيم بعد التحرر، ترى نشاطه يشوه تلك الشعارات ذاتها حتى يستولي على العقول (الشك)، ويتسرب إلى القلوب (الندم).**

وفي كلتا الحالتين يهدف الاستعمار إلى فصل البلد المستعمر عن بعض الأفكار، فإذا كانت منبعثة من الداخل، فمن السهل لديه أن يستخدم وسائل الضغط والإرهاب مع من دخل المعركة تحت رايتها، أما إذا كانت آتية من الخارج؛ أي إذا كان صاحبها قد أفلت من نفوذ الاستعمار المباشر، فسيكون الاستعمار مضطراً إلى التكيف مع الظروف الجديدة في الصراع الفكري، وإلى استخدام وسائل علمية جديدة (ابن نبي ،٢٠١٦، ١٣٣).

ترى الدراسة أن الصراع الفكري هو ذلك الجدل الخفيّ الذي يدور في عقول الأفراد والمجتمعات، بين القديم والجديد، بين الثابت والمتغير، بين الأفكار التقليدية والأفكار المبتكرة. إنه صراع طبيعي يعد محركًا رئيسيًا للتطور الحضاري، حيث تتصادم الرؤى وتتنافس الأفكار في ساحة العقل، فتنتج عنها إما صحوة فكرية تجدد دماء الأمة، أو أزمة هوية تعمّق انقساماتها. في هذا الصراع، تبرز قوة الأفكار التي تستند إلى المنطق والمرونة، بينما تنهار تلك الأفكار التي تعتمد على الجمود والتلقين. لكن الخطر الحقيقي يكمن عندما يتحول هذا الصراع من حوار بناء إلى هدام، فإن تحدّي أي أمة يكمن في قدرتها على إدارة هذا الصراع بحكمة، بحيث يكون منبرًا للتقدم والازدهار.

خاتمة: أن رأى مالك بن نبي في التربية الطريق الفعال لمعالجة مشكلة التخلف في المجتمع العربي والإسلامي، وذلك بفضل الآليات التي تمكنها من بعث الروح في الفرد الجماعة، وإيجاد التناغم في عمل الأفراد داخل المجموع، وبعث روح العمل في الفرد وتوجيه طاقته الحيوية، ويمكن الحديث عن بعض النتائج في ما قدمه مالك بن نبي في مجال التربية وأولها أنه تمكن من حصر الأسس التي تقوم عليها التربية ممثلة في الحضارة والدين والمجتمع والإنسان، حيث إنه لا يمكن الحديث عن أي تربية في ظل غيابها معا أو غياب بعضها، وكذلك تحديده للهدف من التربية متمثلا في بعث روح العمل الجماعي، وبعث روح العمل في صفوف الأفراد، وكذلك تحديده لمجالات التربية كالأخلاق والجمال والعقلانية والواجدنية... وغيرها.

المحور الرابع: تصور مقترح لبناء الإنسان في ضوء أفكار مالك بن نبي التربوية:

بعد أن انتهت الدراسة من تناول المشروع الفكري" لمالك بن نبي" وعرض سيرته من حيث الميلاد والنشأة. والإنتاج الفكري له، وكذلك تناول ملامح عصر مالك بن نبي وأثره في تكوينه، وموقفه من تيارات الفكر في عصره، والوقوف على أبرز قضايا التربية في كتاباته، واستجلاء أهم نتائج الدراسة سيعرض الباحثان تصور مقترح لبناء الإنسان في ضوء أفكار مالك بن نبي التربوية فيما ما يلي:

أولاً: منطلقات التصور المقترح:

في ظل التحديات الفكرية والحضارية التي تواجه الأمة العربية الإسلامية، يبرز فكر مالك بن نبي كإطار تحليلي عميق لفهم أزمات النهضة وسبل الخروج منها. حيث يرى أن أي تقدم أو إصلاح لا يكمن في الموارد المادية وحدها، بل في بناء الإنسان كفاعل أساسي في صنع الحضارة. فالإنسان في تصوره هو المحور الذي تدور حوله جميع شروط النهضة، وهو الجسر الذي يربط بين المبادئ الروحية والتحقق التاريخي. من هنا تأتي أهمية استعادة رؤية مالك بن نبي لتقديم تصور متكامل حول إعادة بناء الإنسان المسلم، وفيما يلي يعرض الباحثان أبرز المنطلقات الفكرية التي يمكن أن تشكل إطارًا لتصور مقترح لبناء الإنسان وفق رؤية مالك بن نبي التربوية، والتي تجمع بين العمق الفلسفي والرؤية التطبيقية.

١- الإيمان بالتغيير النفسي والاجتماعي وتحليل أزمة الإنسان المسلم المعاصر من خلال مفهوم "القابلية للاستعمار" (وهي العجز عن المقاومة الفكرية والحضارية) مع ضرورة تغيير النفس كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد:١١) كشرط أساسي للتغيير.

٢- التركيز على التعليم وبناء العقلية المنتجة كأداة لتحويل الإنسان من مستهلك إلى منتج للأفكار والقيم.

٣- نقد التربية التقليدية التي تعزز الحفظ والتلقين دون الفهم، والدعوة إلى منهجية تربوية تنمي التفكير النقدي والإبداع.

٤- الإيمان بالإنسان في بناء الحضارة، حيث لا تنهض الحضارة إلا بصلاح الإنسان، وتوازنه الروحي والفكري والعملي.

٥- الإيمان كأساس للهوية والحركة للربط بين بناء الإنسان والعقيدة الإسلامية، حيث يشكل الإيمان الإطار الرئيس لتحرير الإرادة وتوجيه الفعل.

٦- الإيمان بالأخلاق والعمل، والربط بين القيمة والفعالية ونقد الانفصال بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية في واقع المسلم المعاصر.

٧- الإيمان بالوحدة والتكامل، وإن الإنسان في إطار الجماعة أفضل من الفردية، والتركيز على بناء المجتمع ككيان متكامل.

٨- الإيمان بأن التربية أداة نهضوية، معتبراً أنها عملية بناء للإنسان المنتج بدلاً من الإنسان المستهلك.

٩- الإيمان بمحاربة التغريب والتبعية والمواجهة الفكرية، وتحرير العقل المسلم من التبعية الفكرية للغرب.

١٠- الإيمان ببناء ثقافة مقاومة تستند إلى الأصالة دون انغلاق، والانفتاح دون فوضى.

١١- الإيمان بضرورة وجود رؤية لبناء الإنسان كجزء من معركة الحضارات، حيث يصبح المسلمون فاعلين في حل المشكلات الإنسانية.

١٢- تأكيد ضرورة المزج بين الثوابت والمتغيرات حيث دعا إلى تكامل المنظومة التربوية بين القيم الإسلامية الثابتة ومتطلبات العصر المتغيرة.

١٣- الإيمان بالرؤية التجديدية للتربية التي طرحها مالك بن نبي والتي تدور حول تكامل الجانب المعرفي، المهارى، الوجداني.

١٤- الإيمان بضرورة مواجهة العولمة التربوية من خلال ضرورة تطوير آليات للحفاظ على الهوية مع الانفتاح الواعي على الآخر الحضاري.

١٥- أهمية نقد الواقع التربوي من خلال رفض أزمة التلقين حيث كشف مالك بن نبي عن خطورة اختزال العملية التربوية في نقل المعلومات دون تنمية القدرة على التفكير النقدي.

ثانياً: أهداف التصور المقترح:

يسعى هذا التصور إلى تقديم رؤية متكاملة لبناء الإنسان في فكر مالك بن نبي، انطلاقًا من إيمانه بأن النهضة لا تتحقق إلا بإصلاح الإنسان كأساس لأي تحول مجتمعي. فالأزمات التي تعانيها الأمة الإسلامية العربية في تحليله ليست أزمات موارد أو تقنية فحسب، بل هي بالأساس أزمات إنسان فقد توازنه الروحي والفكري، فأصبح عاجزًا عن التقدم. ويهدف هذا التصور إلى:

١- بناء الشخصية المتكاملة: تنمية إنسان على أسس متوازنة ومتكاملة تجمع بين القيم الروحية والفكرية والعقلية والأخلاقية والنفسية وفق رؤية تربوية شاملة.

٢- استمرار عملية التربية مدى الحياة: يُعد مفهوم "التربية المستمرة" أحد الركائز الأساسية فعملية بناء الإنسان لا تقتصر على فئة معينة من الأفراد أو مرحلة عمرية محددة أو إطار مؤسسي معين، بل تمتد عبر جميع مراحل الحياة.

٣- تنمية الوعي الحضاري: من خلال ترسيخ إدراك الفرد لدوره في المشروع الحضاري الجماعي، وربط التربية بأهداف النهضة المجتمعية.

٤- تعزيز الاستقلال الفكري: تكوين إنسان قادر على نقد الأفكار الغربية وإعادة صياغتها بما يتناسب مع ثقافة المجتمع والدين الإسلامي الحنيف، وإنتاج معرفة أصيلة تنتج من خصوصيته الثقافية والحضارية.

٥- تعميق القيم الأخلاقية: من خلال غرس القيم الأخلاقية مثل: (الحق، العدل، المساواة، وتزكية النفس وتطهيرها من الشح والحقد وسائر الرذائل بما يحقق لها النجاة، قيمة العمل والفعالية، قيمة النظام والانضباط، قيمة الشعور بالمسؤولية، وقيمة الترابط الاجتماعي،...وغيرها) في التربية والثقافة والتعليم، لتكوين جيل يملك القدرة صناعة المستقبل، ويجعل من الأخلاق عاملاً حاسماً في مشروعه لبناء الإنسان القادر على النهوض بالأمة.

٦- ترسيخ ثقافة الإبداع: أن الإبداع الحقيقي ينبثق من ثلاثية متكاملة: "الفكرة العميقة" التي تستمد مقوماتها من الأصالة الإسلامية، و"المنهج العلمي" الذي يضمن الدقة والموضوعية، و"الأخلاق الموجهة" التي تضبط مسار الابتكار لخدمة المصالح الإنسانية العليا. ويحذر من الإبداع المزيف الذي يقتصر على تقليد النماذج الغربية دون نقد أو تكيف مع الهوية الثقافية.

٧- تعزيز الهوية والانتماء: من خلال بناء وعي ذاتي قادر على التمييز بين الثوابت الشرعية والمتغيرات الحضارية، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويحقق التوازن بين التراث ومتطلبات العصر مع التركيز على ربط المعرفة بالعمل، والنظرية بالتطبيق.

ثالثًا: مجالات التصور المقترح:

تتنوع مجالات تصور بناء الإنسان المسلم المعاصر لدى" مالك بن نبي" تبعا لرؤيته للمجالات التي تعمل على تحقيق بناء جوانب الشخصية المتكاملة، والتي منها:

١- المجال الدينى: يعد ترسيخ العقيدة من الركائز الأساسية في فكر مالك بن نبي، حيث يرى أن العقيدة الصحيحة هي منطلق النهضة الحقيقية للمسلم والمجتمع. فالإيمان بالله، كما يطرحه، ليس مجرد شعور روحي أو ممارسة طقوسية، بل هو قوة دافعة تبعث في الإنسان

وعيًا برسالته وهدف وجوده. ويرى أن الدين الإسلامي حرر الإنسان المسلم من التبعية والخضوع لغير الله، وغرس فيه روح المبادرة وتحمل المسؤولية، كما دعا مالك بن نبي إلى تجديد فهم العقيدة وربطها بالواقع، حتى تصبح مصدر طاقة نحو البناء والعمل والإصلاح.

٢- المجال الروحي: استخلص "مالك بن نبي" من العبادات الإسلامية مجموعة من الآثار التربوية التي تساعد على بناء المسلم المعاصر روحيًا، ومنها على سبيل المثال:

- ✓ الصلاة: فرأى أنها أساس ضبط الوقت وتعلم المسلم الانتظام والدقة في حياته اليومية. الالتزام بجدول زمني روحي ومادي متوازن، وتطهير النفس والقلب من الغفلة والانحرافات الأخلاقية.
- ✓ الصوم: يصفه مالك بن نبي بأنه تربية الإرادة الذي يساعد المسلم على التحكم في شهواته ورغباته. وتعزيز التعاطف الذي يشعر الناس بمعاناة المساكين والمحتاجين، فيزداد إحساسه بالمسؤولية الاجتماعية، وضبط الغرائز.
- ✓ الزكاة: من خلالها يتم تربية الضمير الاجتماعي حيث تُذكر المسلم بواجبه نحو المجتمع. ومحاربة الأنانية التي تقلل من حب المال وتُعزز مفهوم العطاء.
- ✓ الحج: ويصفه مالك بن نبي بأنه توحيد الأمة حيث يُظهر تجسيداً عملياً لوحدة المسلمين رغم اختلاف أعراقهم وثقافاتهم. والانضباط الجماعي يُعلم الناس النظام والطاعة في إطار جماعي.

وقد رأى مالك بن نبي أن هذه العبادات ليست مجرد طقوس، بل نظامٌ متكامل لبناء الإنسان المسلم القادر على مواجهة تحديات العصر الحديث مع الحفاظ على هويته وقيمه. فالعملية التربوية هنا شاملة، تمس الفرد والمجتمع في آنٍ واحد.

٣- المجال الاجتماعي:

اهتم مالك بن نبي ببناء المسلم اجتماعيًا من خلال رؤيته الفكرية العميقة التي تربط بين الإيمان والفعل الحضاري، معتبرًا أن الإسلام ليس مجرد عقيدة فردية، بل مشروع مجتمعي متكامل. وقد ركز على عدة جوانب لتحقيق هذا المجال منها:

- التربية على المسؤولية الجماعية: رأى أن العبادات مثل الزكاة والحج تُعزز الوعي الاجتماعي، فالمسلم ليس كيانًا منعزلاً، بل جزء من أمةٍ تتعاون على البر والتقوى. انتقد الفردية الأنانية، ودعا إلى التكافل الاجتماعي كأساس لنهضة الأمة.
- مفهوم القابلية للاستعمار ونقد التخلف الاجتماعي: حلَّل ظاهرة التخلف في المجتمعات الإسلامية وربطها بضعف الروح الجماعية والتبعية الفكرية. دعا إلى تحرير المجتمع من

العقلية الاستهلاكية والاعتماد على الآخر، وبناء منظومة قيم إسلامية تعتمد على الإنتاج والتعاون.

- إعادة بناء الأسرة والمجتمع: شدد على أهمية الأسرة كخلية أساسية في بناء المجتمع، ودعا إلى تربية الأبناء على القيم النبيلة والتفاعل الاجتماعي.

٤- المجال السياسي:

اهتم مالك بن نبي ببناء المسلم سياسيًا من خلال رؤيةٍ تربويةٍ، وقد ركّز في تحليله على عدة محاور أساسية:

- تحرير العقل السياسي من القابلية للاستعمار: رأى أن المشكلة ليست في الاستعمار الخارجي فقط، بل في عقلية التبعية التي تجعل المسلم يتقبل الهزيمة وينساق وراء الغرب دون نقد. ودعا إلى استقلالية الفكر السياسي الإسلامي القائم على الأصالة والمرونة، ورفض التقليد الأعمى.
- التربية على الوعي الحضاري: ربط بين الإيمان والمسؤولية السياسية، معتبرًا أن المسلم لا يمكن أن يكون صالحًا روحياً إذا كان مشاركًا سياسيًا في رفعة وبناء مجتمعه.
- نقد الأنظمة السياسية المُفككة: انتقد الدول الوطنية بعد الاستعمار حيث دعا إلى وحدة استراتيجية بين الدول الإسلامية تقوم على المصالح المشتركة والثقافة الحضارية، لا على الشعارات فقط.
- رأى أن التغيير السياسي يحتاج إلى نخبةٍ مثقفةٍ ترفض الوصاية الفكرية، وتعمل على صياغة مشروع سياسي إسلامي معاصر. دعا الشباب إلى التكوين السياسي القائم على القراءة النقدية للتاريخ والواقع، لا على الانفعال العاطفي.
- الدور السياسي للأخلاق: اعتبر أن الفساد السياسي نتاج انفصال الأخلاق عن السلطة، كما حذر من الاستبداد الداخلي كما حذر من الهيمنة الخارجية، وربط بينهما كوجهين لعملة واحدة.
- لم يفصل بين السياسة والحضارة، بل رأى أن السياسة الفاعلة هي التي تخدم بناء الإنسان وإنتاج المعرفة.

٥- المجال الاقتصادي:

قام مالك بن نبي ببناء رؤيته للمجال الاقتصادي ضمن إطار فكره الحضاري الشامل، حيث رأى أن المشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي ليست مجرد نقص في الموارد أو

التقنية، بل هي جزء من أزمة حضارية أعمق تتعلق بـ"القابلية للاستعمار" وغياب "الفعالية الحضارية". ومن أبرز ملامح بناء مالك بن نبي للمجال الاقتصادي ما يلي:

- الاقتصاد كجزء من مشروع الحضارة: لم يفصل مالك بن نبي الاقتصاد عن باقي جوانب الحضارة (الثقافة، الاجتماع، السياسة)، بل رأى أنه يجب أن يُبنى ضمن مشروع حضاري متكامل. فالحل الاقتصادي لا يأتي عبر تقليد النماذج الغربية أو الشرقية، بل عبر إعادة بناء عقلية إنتاجية تحقق الاستقلال الفكري والمادي.
- نقد الاقتصاد الاستهلاكي: انتقد بن نبي النزعة الاستهلاكية السائدة في المجتمعات الإسلامية، والتي تكرس التبعية للغرب. واعتبر أن "الاستهلاك بلا إنتاج" يؤدي إلى التخلف، ودعا إلى تحويل المجتمع من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع إنتاجي قائم على: الصناعة كأداة للتحرر من التبعية.
- دور الأفكار والروح في الاقتصاد: أكد أن النهضة الاقتصادية تحتاج إلى "أفكار حية" وليس فقط رأس المال المادي. فبدون إرادة التغيير والقيم الأخلاقية (مثل الصدق، الجودة، التعاون)، يظل الاقتصاد ضعيفًا.
- الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق: رغم تأثره بأفكار الاقتصاد الإسلامي، إلا أنه انتقد الشكلية في تطبيقه (مثل التركيز على الزكاة دون إصلاح النظام الاقتصادي ككل). واقترح أن تكون القيم الإسلامية (مثل العدل، المنفعة العامة) هي الموجه للسياسات الاقتصادية، وليس فقط الالتزام الشكلي بأحكام المعاملات.
- الدعوة إلى التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية: أشار إلى أن ضعف العالم الإسلامي يعود إلى التجزئة، ودعا إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة وتعاون في مجالات: التصنيع، البحث العلمي، والتمويل بعيدًا عن الهيمنة الغربية.

رابعًا: آليات تحقيق التصور المقترح:

تتطلب عملية بناء الإنسان وفق الرؤية التربوية لمالك بن نبي وضع آليات عملية تحول الأفكار النظرية إلى واقع ملموس. وتتمثل أهم هذه الآليات فيما يلي:

١- إعادة صياغة المنظومة التربوية عبر تطوير مناهج تعليمية تركز على تنمية الشخصية المتكاملة، وتعزيز الوعي الحضاري، وربط المعرفة بواقع الأمة ومشكلاتها. ووضع رؤية تربوية لبناء الإنسان على أسس متكاملة: روحية وفكرية وعملية. فمن الناحية الروحية، التأكيد على أن الإيمان ليس مجرد شعار فردي، بل هو القوة المحركة التي تطلق طاقات الإنسان نحو العطاء. أما الناحية الفكرية، نقد التقليد الأعمى للغرب من جهة أخرى، مع

بناء عقل نقدي يمتلك القدرة على الاختيار والابتكار. وفي الناحية العملية، الربط بين الأخلاق والإنتاجية، والتي تتحول إلى أعمال ومنتجات تخدم المجتمع.

٢- إقامة مراكز التميز الحضاري التي تعمل على إعداد الكوادر القيادية وتنمية المواهب البارزة، وفق رؤية تستلهم مفاهيم مالك بن نبي حول الفعالية الحضارية.

٣- إنشاء برامج التعليم المستمر التي تواكب تطور المعرفة وتلبي حاجات المجتمع المتغيرة، مع التركيز على الجانب التطبيقي والمهاري.

٤- توظيف التقنيات الحديثة في عملية التعلم وبناء المعرفة، مع الحفاظ على الهوية الحضارية.

٥- ضرورة إعداد نماذج عملية وتجارب رائدة تجسّد أفكار مالك بن نبي على أرض الواقع، وتكون قابلة للتطبيق.

٦- تعزيز الشراكة بين المؤسسات التربوية وسوق العمل لضمان مواءمة مخرجات التعليم مع احتياجات التنمية المستدامة.

٧- تفعيل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية من أسرة ومدرسة ومسجد وإعلام، لتكون قادرة على غرس القيم الحضارية وتنمية الاستقلال الفكري. وقام الباحثان بوضع آليات لكل مؤسسة من مؤسسات التربية السابق ذكرها لبناء إنسان واعٍ مستنيرٍ تتلخص فيما يلي:

أ- آليات تفعيل دور الأسرة في بناء الإنسان المتكامل

يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تفعيل دور الأسرة في بناء الشخصية المتوازنة من خلال التوازن بين الجوانب الروحية والعقلية والجسدية، وتنمية الوعي النقدي والاستقلال الفكري لدى الأبناء. والربط بين التربية الأسرية والقدرة على الإنتاج الحضاري، فالأبناء الذين ينشؤون على الاتكالية يصبحون عالة على المجتمع.
- تفعيل دور الأسرة كحاضنة للقيم الحضارية من خلال غرس القيم الروحية والأخلاقية، ومبادئ العقيدة الصحيحة. والتوعية بخطر التغريب وتقليد النموذج الغربي في العلاقات الأسرية، لأنه يُفقد الأبناء هويتهم الحضارية.
- تفعيل دور الأسرة في إعداد الأجيال الصالحة للنهضة ويتم من خلال إعادة بناء المنظومة التربوية الأسرية وفق رؤية إسلامية تحقق التكامل بين الدين والحياة. والتحذير من التفكك الأسري لأنه يؤدي إلى تفكك المجتمع، ومن ثم عجز الأمة عن تحقيق النهضة.

- تفعيل دور الأسرة كمانع من التبعية الثقافية التى تؤدي إلى ضياع الهوية من خلال الوعي بأن الغزو الثقافي الغربي يستهدف الأسرة المسلمة لتفكيكها، لذا يجب أن تكون الأسرة درعًا واقيًا ضد الغزو الحضاري، وذلك بتربية الأبناء على الاعتزاز بالتراث الإسلامي مع الانفتاح الواعي على العالم.

ب– آليات تفعيل دور المدرسة في بناء الإنسان المتكامل

يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ضرورة أن تكون المدرسة امتدادًا للأسرة في غرس القيم، وليس مكانًا يُلغِي دور الأسرة. من خلال تُعلّم الأبناء تاريخهم وحضارتهم لبناء الهوية الثقافية لديهم.
- ضرورة أن تكون المدرسة ورشةً لإنتاج الأفكار، لا مجرد مكان لتلقين المعلومات. وأن تُنمي القدرة على الإبداع والتفكير المستقل. مع ضرورة ربط التعليم بالحياة العملية، وعدم اقتصاره على الجانب النظري المجرد.
- ضرورة إصلاح المناهج بحيث تُربي الأجيال على الانتماء الحضاري الإسلامي، مع الاستفادة من العلوم الحديثة. والتحذّير من التعليم المزدوج (منهج ديني تقليدي + منهج علماني حديث)، لأنه يُنتج شخصية غير مستقرة.
- دعم محتوى المناهج والمقررات الدراسية بمفاهيم تعزز الوعى بقيم الانتماء الثقافي وخصوصيتنا الثقافية وهويتنا الحضارية.
- ضرورة تكامل التربية في المدرسة بين: العلم (المعرفة)، الأخلاق (القيم)، والعمل (التطبيق).
- ضرورة غرس روح التعاون بين الطلاب والمسؤولية الاجتماعية وأن تكون المدرسة مركز يُشارك في حل مشكلات البيئة المحيطة.

ج– آليات تفعيل دور المسجد في بناء الإنسان المتكامل

يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ضرورة تجديد دور المسجد في تخريج جيلٍ واعٍ يُفكر بعمق في قضايا الأمة.
- التفاعل مع الأحداث الوطنية وتفعيل دور المسجد في المشاركة فيها.
- مشاركة المساجد في علاج المخالفات والمشكلات التي يقع فيها بعض أفراد المجتمع والمحافظة على الوحدة الاجتماعية.
- ضرورة إحياء دور المسجد فكريًا واجتماعيًا كخطوة لمقاومة الغزو الثقافي الغربي.

- ضرورة جعل المساجد دور علم وعبادة من خلال زيادة الجرعات الدينية المقدمة من دروس ووعظ وخطب في جميع مؤسسات المجتمع.

د- آليات تفعيل دور وسائل الإعلام في بناء الإنسان المتكامل

يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ضرورة إنشاء وحدات إعلامية متخصصة في نقد الصور النمطية الغربية عن الإسلام. إبراز نماذج ناجحة لعلماء ومخترعين مسلمين معاصرين. إطلاق حملات ضد الغزو الثقافي.
- ضرورة إنشاء منصات رقمية لتعليم العلوم الشرعية والطبيعية معًا. وتوظيف الذكاء الاصطناعي لإنشاء مكتبة إسلامية تفاعلية عالمية.
- تقديم برامج ومواد إعلامية موجهه لخدمة الثقافة العربية والاسلامية.
- ضرورة إنتاج إعلام موجه مثل برامج تُعلم الشباب فنون الحوار بدل الصراع. ومسلسلات تاريخية تُظهر دور العلم في الحضارة الإسلامية. واستخدام الدراما لتقديم قيم العمل والإنتاج.
- العمل على تقديم برامج واقعية وهادفة، تكون قادرة على استقطاب الشباب، وتزويدهم بمعلومات وحقائق عن الواقع المجتمعي وكيفية مواجهة مشكلاته.

خامسًا: متطلبات تطبيق التصور المقترح:

ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١- وجود فلسفه تربوية واضحة تهدف إلى بناء الإنسان المبدع والحر القادر على تحقيق أهدافه وتنمية مجتمعه.

٢- إصلاح المؤسسات التربوية القائمة (المدارس، الجامعات، المساجد) لتكون قادرةً على:

- ✓ غرس القيم الحضارية.
- ✓ تنمية الاستقلال الفكري.
- ✓ تعزيز الفعالية الاجتماعية.

٣- تكامل أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحقيق بناء الإنسان المبدع والمفكر الناقد فلا يجب أن تهدم أحد المؤسسات ما تبنيه وتقوم به مؤسسة أخري أو تتعارض معها فالإبداع في البنية الثقافية المنشودة يمتد ليشمل الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

٤- تطوير أهداف التعليم والمناهج وطرق التدريس والوسائل التعليمية بشكل يتناسب مع متطلبات تحقيق بناء الإنسان في المنظومة التعليمية كأحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

المراجع والمصادر:

أولا: المصادر:

مؤلفات مالك بن نبي:

آفاق جزائرية. (١٩٧١). مكتبة عمار، القاهرة.
إنتاج المستشرقين. (١٩٧١). مكتبة عمار، القاهرة.
بين الرشاد والتيه. (٢٠١٤). دار الفكر، دمشق.
تأملات. (٢٠١٩). دار الفكر، دمشق.
دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين. (٢٠٠٧). دار الفكر، دمشق.
شروط النهضة. ترجمة عبد الصبور شاهين. (٢٠٢٢). دار الفكر، دمشق.
الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. (٢٠١٦). دار الفكر، دمشق.
الظاهرة القرآنية. (١٩٧٨). الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. دار الفكر، دمشق.
فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج. (٢٠٠١). ترجمة عبد الصبور شاهين. دار الفكر، دمشق.
فكرة كمنويلث إسلامي. (٢٠١٩). ترجمة الطيب الشريف. دار الفكر، دمشق.
في مهب المعركة. (٢٠١٦). دار الفكر، دمشق.
لبيك حج الفقراء. (٢٠٠٩). دار الفكر، دمشق.
مجالس دمشق. (٢٠١٨). دار الفكر، دمشق.
مذكرات شاهد القرن الطفل. ترجمة مروان القنواتي. (٢٠٢٣). دار الفكر، دمشق.
المسلم في عالم الاقتصاد. (٢٠١٨). دار الفكر. دمشق.
مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. ترجمة عبد العظيم علي. (٢٠١٨). دار الدعوة، القاهرة.
مشكلة الثقافة. (٢٠١٩). دار الفكر. دمشق.
ميلاد مجتمع. ترجمة عبدالصبور شاهين. (٢٠١٨). دار الفكر، دمشق.
وجهة العالم الإسلامي" ترجمة عبد الصبور شاهين. (٢٠١٦). دار الفكر، دمشق.

ثانيًا: المراجع:

أبوسنان، رقية. (٢٠٢٢). التربية في فكر مالك بن نبي قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. متوفر في الموقع الإلكتروني. https.//www.academia.edu/37840859.28/3/2022.4:15pm.9.

براهيمي، عبد الحميد. (٢٠٠١). في أصل الأزمة الجزائرية. مركز *دراسات الوحدة العربية*، بيروت.

بلاح، بشير. (٢٠٠٦). *تاريخ الجزائر المعاصر من ١٨٣٠-١٩٨٩م*. دار المعرفة، الجزائر.

بن عمارة، محمد (٢٠١٦). المرض الاجتماعي انطلاقة نحو بناء نظرية التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي. *مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، (٣)*، ٢٦٩– ٢٨٢.

بن نعمان، أحمد. (د ت). الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية. *مجلة الأصالة. (٨٥)*، ٨–٨٦.

بوتلجة، فوزية. (٢٠٢٣). التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي (القواعد والشروط). مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، الجزائر، ١١(١)، ٨٩– ١٠٥.

جموعي، بن الذيب. (٢٠٢٣). الفكر التربوي عند مالك بن نبي. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢(١١)*، ٦٤–٧٥.

حسن، جمال الدين بوقلي. (٢٠١٧). *قضايا فلسفية*. النشر الجامعي الجديد. الجزائر.

خطاب، عامر. (٢٠٢١). العلاقات الاجتماعية في الإسلام. *مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري، سوريا، (١٠)*، ٤٩– ٥٨.

خلدون، عبد الرحمن. (٢٠٠٤). *المقدمة الإمام عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون*. المكتبة العصرية، بيروت.

السروجي، طلعت مصطفى. (٢٠٠٩). *رأس المال الاجتماعي*. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

سعد الله، أبو القاسم. (٢٠٠٠). *الحركة الوطنية الجزائرية*، دار الغرب الإسلامي.

سعيدوني، ناصر الدين والمهدي بوعبدلي. (٢٠١٨). *الجزائر في التاريخ العهد العثماني ١٧٣٤–١٨٣٠م*. المؤسسة الوطنية للكتاب (ط ٤)، الجزائر.

السيستاني، السيد علي الحسيني (٢٠٢٣). *مناسك الحج وملحقاتها*. مطبعة الكلمة الطيبة، دار البذرة للنشر، العراق.

شيلي، محمد. (٢٠٢٤). أهداف التربية وغاياتها في فكر مالك بن نبي التربوي. *مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة أحمد درايعية (أدرار)، ١ (٢٣)*، ١٢٣–١٥٦.

صالح، بوعزة. (٢٠٢٢). قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية. جامعة محمد دباغين، أسطيف. متوفر في الموقع الإلكتروني .https.//www.asjp.cerist.dz28/3/2022.10–21

صنصال، بوعلام. (٢٠٢٠). *الاقتصاد الجزائري: التحديات وآفاق التنويع*، دار الهدى للنشر. الجزائر.

عاشور، صفاء عوني حسين. (٢٠٠٥). *قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري*. كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة.

عاشور، مصطفى. (٢٠٢٣). مالك بن نبي فيلسوف مشكلات الحضارة. متاح على الموقع الإلكتروني 10:45pm.32–34.،https//islamonline.net/archive14/12/2023

عبد الحميد، عبداللاه صابر. (٢٠٢٤). التفسيرات النظرية للتكيف الاجتماعي للأفراد. *مجلة البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل. جامعة أسوان، جمهورية مصر العربية، ٨(٢)، ١٨٧– ١٩٧.*

عبد العال، صالح. (د ت). *ابن باديس المجدد الإسلامي الكبير*، سلسلة أعلام النهضة، مركز التبشير للدراسات.

عبود، فادي وديع، عقيل، سعيد محمود. (٢٠٢٢). *روائع مالك بن نبي "سيرة حياته" ويليها حكمه وأقواله*، دار العزة والكرامة للكتاب، كتابنا للنشر، الجزائر.

عسل، أحمد رجب. (٢٠٢١). *رؤية أعضاء هيئه التدريس للقيم الغائبة في التعليم الجامعي*. رساله ماجستير. كليه التربية. جامعه كفر الشيخ.

العقبي، حسن موسى محمد. (٢٠٠٥). *مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة*. رسالة ماجستير. كلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية. غزة.

عكاشة، شايف. (٢٠١٠). *الصراع الحضاري في العالم الإسلامي*، مطبعة بن مرابط، الجزائر.

عمامرة، تركي رابح. (٢٠٠٦). *الشيخ عبد الحميد باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

العمراوي، زكية. (٢٠١٩). الفكر الاجتماعي عند مالك بن نبي قراءة سوسيو–مفاهيمية في كتاب ميلاد مجتمع. *مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد (٢)*، ٧٥– ٩٠.

الغوث، محمد. (٢٠١٩). *مالك بن نبي حياته وفكره*، دار الهدى، الجزائر.

فحلة، حسن رمضان. (١٩٨٩). *مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام*، دار الهدى، الجزائر.

قاسم، إلياس نايت. (٢٠٠٢). الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ. عمار بن خروف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر.

لمشيشي، مولاي الخليفة. (٢٠١٢). *مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة*، دار النايا للنشر والتوزيع، دمشق.

محمد، بابا عمي. (٢٠١١). مشكلة المعرفة والخصوصية الإسلامية عند المفكر مالك بن نبي. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية. مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي بتلمسان، الجزائر.

المدني، أحمد توفيق. (٢٠١٦). *هذه هي الجزائر*، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، القاهرة.

مسقاوي، عمر كامل. (٢٠١٣). *في صحبة مالك بن نبي*، دار الفكر المعاصر، سوريا.

المقهوي، موزة زيد عبدالله. (٢٠٢١). *مفهوم التربية الإسلامية*. كلية التربية الأساسية، الكويت.

هجالة، خيرة المهدي؛ دهاش، الصادق. (٢٠٢٢). قيمة التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي ودوره العلمي في فرنسا ١٩٣١–١٩٥٦م. *مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا. جامعة على لونيسي البليدة، الجزائر، (١)*،٦١٣–٦٣٦.

وليد، بوغرارة. (٢٠١٨). *الأسس الفلسفية لعالم الأفكار عند مالك بن نبي*. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة ٨ماي، الجزائر.

يوسف، بوراس (٢٠٢٢). أسس التربية عند مالك بن نبي وأهدافها ومجالاتها. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية. جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر١٠(٤)*، ٤١–٥٩.